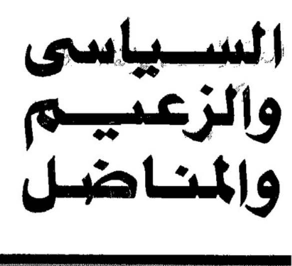
الدكتور
رفعت السعيد

مصطفى النحاس



السياسى والزعيم والمناضل



قادة العمل السياسى فى مصر رؤية عصرية

(١)

اهداءات ٢٠٠١

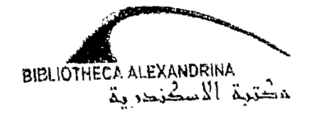
الدكتور/ القطب محمد طبلية

القاهرة

الدكتور رفعت السعيد

مصطفى النحاس

السياسى والزعيم والمناضل



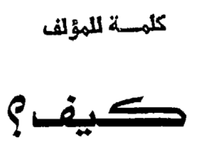
الاهـــداء

الى طارق البشرى

وصلاح عيسى

فخر مؤرخى جيلنـــا

((المؤلف))


كلمة للمؤلف
كيف؟

لست وفديا ، ولم أكن . .

بل لعلى ــ وفى غمار الخضم المتلاطم للعمـــــل السـيـاسى ــ قــد اختلفت كثيرا مع حــزب الوفد وسياساته ، وان كنت قد اتفقت معه أيضــا ومع سياساته فى كثير من الأحيان .

ولعلى فى كثير من تقييماتى الحالية لمواقف هذا الحزب كنت ــ فى نظر البعض ــ قاسيا بعض القسوة ، أو بالدقة محاولا أن أقيس مواقفه بمقياس طبقى صـــارم لابد له وأن يترك بصمات انتقادية على كل خطـــوة وكل موقف .

كيف اذن تجاسرت على خوض ميدان الـــكتابة عن مصطفى النحاس ؟

لعل هذا السؤال قد حيرنى ، أكثر مما سـيحير القـــارىء . .

هل لأننى كنت ــ وباستمرار ــ اعتقد بتمايز مصطفى النحاس عن الحزب وعن مجمل قيادته ، ومجمـــل سياساته ، وأن النحاس كان فى واقع الأمر زعيمـــا لمصر أكثر مما كان رئيسا لحزب ؟

. . ربمـــا .

أم ان السبب شخصى بحت ، يعود الى تأثرى بأبى وهو وفدى صميم ، يعتبر أن محبة «مصطفى النحاس» والايمان به واحدا من الطقوس الأبدية للحياة ، يتنفســـه ويعيشه ويقتاته ، ويصل بالمحبة تجاهه الى حـــدودها

القصـــوى التى تشـــارف مرحلة « الوجد » عنـــد المتصـــوفة . . ؟

. . ربمـــا .

ام اننى لم ازل أذكر « حكايات » أمى عن أبيها . ذلك الرجل الذى ضحى بحياته فى سهولة وبساطة حمـــاية للنحاس من مؤامرة اغتيال دبرها له الطاغية اسماعيل صدقى فى عام ١٩٣٠ ؟

ولكم ظلت أسرته تعانى من قسوة الحياة ، لكنهـــا ظلت ــ ايضا ــ تمزج مأساتها بمحبة فائقة للزعيم الوطنى الذى مات عائلها ليمنحه الحياة ، ولكم تصبح ذكرى « البطل الشهيد » غالية ، ولكم تصبح تضحيته عالية القيمة كلما كان « الزعيم » الذى افتداه قمـــة لا تبارى من قمم الوطنية .

. . ربما ، أيضـــا .

المهم ، وبرغم اننى لم اكن وفديا فلقد ظللت انظـــر الى النحاس نظرة يمتزج فيها الاعجاب بالرهبة . .

وأنا لم أر جدى لأمى . قرأت فقط ــ وفى خشـــوع ــ اسمه على نصب تذكارى أقيم لفترة من الوقت فى حديقة فى قلب بلدتنا ، ثم ما لبث أن ازاله الخصـــوم السياسيون للنحاس . كل معلوماتى عنه « خيالات » مستمدة من « حكايات » . لكننى ومنذ طفولتى تخيلتـــه عملاقا ضخما يمد يدا هائلة ، تحمى ــ وعلى الدوام ــ

حياة « الزعيم البطل » ، وهكذا تتميز صورة «النحاس» فى خاطرى وفى وجدانى بوضعية خاصة تماما .

***

وتخطو بنا الأيام للامام . وتصبح دراسة التاريخ جزءا من الزاد اليومى للحياة . وتتبلور حقائق تاريخ مصر الحديث لتصنع من « مصطفى النحاس » زعيما عملاقا ذا مكانة خاصة فى قلب هذا الوطن .

وهكذا تترسخ المحبة الشخصية بالمعرفة التاريخية . وكان طبيعيا ــ بعد ذلك كله ــ ان اتجه نحو دراسة تاريخه وسيرته .

ومصطفى النحاس شخصية متميزة وآسرة . ما ان تحاول البحث فى جوانبها المختلفة حتى تستشعر الألفة والمودة ، وتشعر وكأن رباطا من الصداقة الحميمة يجذبك بحنان دافق نحو ذلك الرجل البسيط الشجاع . نحو « الزعيم » الذى استطاع أن يجمع من محبة شعب بلاده أكثر من أى زعيم آخر .

وهكذا ، فانك لا تملك الا أن تواصل البحث والدراسة ، مبهورا بهذا العبق ــ التاريخى الزاخر مستشعرا الفخر ليس فقط لأن مصر انجبت مثل هذا الرجل ، وانما أيضا ــ لمجرد ــ انك قد أصبحت تعرفه أكثر وأكثر ..

***

ولكم يشعر الانسان بالأسى وهو يحس كم تحمل النحاس من مأساة سنواته الأخيرة . .

كيف جرؤت مصر — أو بعضا من أبنائها — ان يبالغوا فى قسوتهم على الزعيم المحبوب لشعبهم فى سنوات حياته الأخيرة .

هل هو قدر مثل هذا النوع من الزعماء ان يتقبلوا من أوطانهم أو من مواطنيهم القسوة والنكران ؟

مثله — أيضا — احمد عرابى الذى قضى السنوات الأخيرة من حياته فيما هو أشد وأقسى من النفى والسجن ومثله — كذلك — محمد فريد .

فهل هو تقليد مصرى ؟

وهكذا تضيف دراستى لأحداث هذه السنوات — فى علاقاتها بالنحاس — ظلالا من الحزن المأساوى على صورة « الزعيم » وتزداد رهبتى تجاهه .

عملاقا عاش هذا الرجل على رأس نضال شعبه .

وعملاقا احتمل مأساة السنوات الأخيرة .

وعملاقا مات . .

وتصبح الكتابة أكثر صعوبة ، وتغلفنى الرهبة كلما حاولت الاقتراب . ومع ذلك أمضى كثيرا من الوقت فى الاستمتاع بالتقرب من الرجل والتعرف عليه .

* * *

وطوال سنوات عديدة ظل التنكر للماضى سـمة العصر ..

كل ما فات كان خطأ محضا ، وكأن البعض قد تصور بذلك انه يستطيع أن يكسب الحاضر صفة الصـواب المطلق ..

وانهال بعض كتاب التاريخ ، ليغرقوا الأذهان بكتابات هى فى الواقع تزييف لتاريخ مصر ، أو هى بالدقة تشويه لوجه النضال المصرى ..

واختلطت الرؤى ، أو هى خلطت عن عمد وسـبق اصرار ، وتاهت المعالم ، وأصبح الماضى كله ـ عنـد البعض ـ كتلة صماء سوداء ، تنهال عليها اللعنات . الوطنى مع الخائن ، والمناضل مع العميل كلهم ادينوا ـ ودفعة واحدة ـ كمسئولين عن فساد الماضى وزيفه .

ونسى الناس فى خضم الحاضر المليىء بالحـركة ، وفى غمار الخلط المتعمد ، نسوا نضال شعبهم طـوال ثلاثين عاما أو تزيد فى وجـه الطغيـان والاحتـلال والاستبداد .

وكان مصطفى النحاس واحدا من هؤلاء الذين تعمد الخلط المقصود أن يخفى ـ صورتهم الحقيقيـة ـ وحتى مجرد اسمهم ـ عن أعين الجيل الجديد .

ومن هنا ، فان الكاتب لابد له وان يشعر لدى أية محاولة لتسطير أفكاره أنه ليس مطلوبا منه أن ينصف

النحاس وحده ، وانما كل تاريخ فترة العقــود الثلاث العشرينات والثلاثينات والأربعينات .

وهكذا تزداد الصعوبات وتتشابك لتؤجل الكتابة .

***

.. حتى كانت الذكرى العاشرة لوفاته .

ومع تجدد عبقها يثور الكثير من الشجن ، وتتجــدد الرغبة فى الحديث عن الزعيم ولو حديثا مختصرا ، ولو مجرد تذكير لشعب مصر بذلك الرجل الذى اتخــذوه يوما أحب الزعماء الى قلوبهم .

ولم تزل الرهبة من مكانة الزعيم ، والخــوف من أن تكون الكلمات اقل من أن تفيه حقه ، والحذر من أن يكون القدر المتاح من المعلومات غير كاف لاعطاء صورة صادقة عنه ، ولم يزل ذلك كله يشل ارادتى عن خوض هذه التجربة .

حتى كانت محاولة أحد تجار صحافة الاثارة ، واحد ممن لا أجد الحاجة الى وصفهم فلعلهم بأفعالهم وكتاباتهم قد وضعوا أنفسهم ــ وباختيارهم ــ فى الموضع الذى يستحقونه .

اذا بأحد هؤلاء يثور على المحتلفين بذكرى النحاس ــ على ضئالة الاحتفال ــ ويثير زوبعة مفتعلة متسائلا : ألم يقبل النحاس يد الملك ؟

والغريب فى الأمر ، أن بعض الوفديين قد استدرج الى المصيدة ، وبدأ يتحدث عن النحاس من الزاوية التى أرادها أعداؤه ، راضيا أن يوضع « الزعيم » وتاريخه ونضاله فى قفص اتهام نسجه أناس عاشـوا حياتهم ، وصعدوا ، أو بالدقة هبطوا من أجل تقبيـل حذاء كل حاكم وكل طاغية .

الغريب فى الأمر ان تجار صحافة الاثارة لم يعدموا من يدخل معهم فى جدل ، ويقارعهم الحجة ، ويحاول الاجابة بالنفى على سؤال غير لائق .

ولست اريد ان استدرج الى قفص الغوغائية الذى ينسجه تجار صحافة الاثارة ، فعلم التاريخ يأبى أن يرصد حادثة عارضة — حتى ولو كانت صـادقة — لتقييم تراث متكامل ، وتاريخ لنحاس يكفيه ويزيد — وبدون أية حجج أو براهين — أن يسمو به فوق هذه الصـغائر .

* * *

وهكذا حسمت أمرى ، واستجمعت اطراف شجاعتى وقررت ان أكتب ، مدركا منذ البداية أننى لا احـاول تسطير سيره مصطفى النحاس ، فهذا جهد اتركه لمن هم أقدر منى على ذلك .. انما هى مجرد محـاولة لاثارة الانتباه ، وحث على دراسة سيرة النحـاس ، وتعريف الجيل الحاضر به ..



لكننا — ولكى ننصف الرجل — يتعين علينا أن نضعه أولا فى اطار عصره وحزبه .. فى مصر التى عاشها هو ، وليست تلك التى نعيشها نحن الان . مصر الاحتلال والسراى واحزاب الأقلية . مصر الاقطاع والراسمالية والاستبعاد .. وأن نضعه ايضا فى اطار حزبه ، ذلك الوعاء العملاق الفضفاض (الوفد المصرى) والذى اتسم بقيادة تسودها غالبية من كبار الملاك الزراعيين ، وقاعدة تموج فيها الملايين من فلاحى مصر وكادحيها ، وبين ضغوط متفاوتة من القمة الشديدة الثراء ، والقاعدة الكادحة غير المنظمة كان يتحتم على « الزعيم » أن يمارس عملية قيادة صعبة وشاقة ..

وبدون أن نضع « السياسى » فى الاطار الموضوعى الذى عاش فيه فاننا نظلمه ونظلم الحقيقة ذاتها .

د. رفعت السعيد

القاهرة : أغسطس (آب) ١٩٧٥

الفصل الأول

مصـــــــر

فى عام ١٩٣٥ كان يراس مجلس وزراء مصر رجل يدعى توفيق نسيم باشا ، وقد حاول دافيد كيلى مستشار دار المندوب السامى البريطانى ورجل مخابراتها العتيد أن يصف هذا الرجل فقال : « كان توفيق نسيم يعد نفسه بصراحة وبلا حاجة الى مواربة صنيعتنا ، وكان يعترف بهذا فخورا ، وفى قرارة نفسه كان توفيق نسيم يأسى دائما لأننا قد تخلينا عن الكثير من نفوذنا(١) .

ولم يكن توفيق نسيم سوى نموذج فج لهؤلاء الساسة من قادة حكومات الأقليات التى حكمت مصر غالبية الفترة الممتدة من اعلان دستور ١٩٢٣ وحتى ثورة يوليو .

وثمة أسماء كثيرة مرادفة لاسم توفيق نسيم ، حكمت مصر تحت راية الاحتلال والسراى وبرغم الارادة الشعبية الواضحة التى أكدت فى كل انتخابات حرة ، أو شبه حرة ، أن حزب الوفد هو صاحب الأغلبية البرلمانية بغير منازع .

لكن مثل هؤلاء الساسة كانوا مهددين دوما بالعزلة عن جماهير شعبهم ، وبالتحول الى مجرد صنائع فى يد الاحتلال والسراى ..

ولهذا فقد تواجد داخل القصر الملكى محور جديد على ماهر ــ الشيخ المراغى ــ كامل البندارى . وقد

---

(١) محمد عوده ــ سبعة باشوات وصور أخرى ــ الكتاب الذهبى ــ ص ١١٧

راهن هذا المحور على محاولة خلق منابر جديدة يمكنها اجتذاب بعض جماهير الوفد .

وهكذا انغمست السراى فى تشجيع التيار الدينى المتمثل فى الاخوان المسلمين فى محاولة لاضفاء نوع من الشرعية الدينية على « الملك الصالح » . وظلت جموع الاخوان المسلمين — ولفترة طويلة من الوقت — سندا أساسيا للسراى فى حربها ضد تمرد النحاس واصراره على الحد من نفوذ القصر وتقليم اظافر الملك .

كذلك انغمست السراى فى تشجيع التيارات الشابة (مصر الفتاة) ترويجا لفكرة ان السياسيين القدامى عاجزون عن تفهم امانى الأمة وتحقيقها وان الشباب بزعامة « الملك الشاب » هم أقدر على تحقيق هذه الامانى . .

وهكذا شهدت مصر الثلاثينات — ولاول مرة فى تاريخها الحديث — دعاوى دينية وسياسية متطرفة .

فكان الشيخ المراغى يؤكد أن « الأمة الاسلامية هى محتوى سياسى كما أنها محتوى دينى » ويرفض « أية محاولة لفصل سلطة الدين عن سلطة ولى الأمر »(١) — مستخدما ذلك كله فى خدمة الملك .

وكان حسن البنا يؤكد أنه يريد الحكم ويريد حكومة

---

(1) G. E. VONGRUNEBRUM. Modern Islam — The Search for Cultural Identity — Unitage books — New York, pp. 65.

اسلامية . ذلك أن « الاسلام عبادة وقيادة ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلاة وجهاد ، وطاعة وحكم ، ومصحف وسيف ، لا ينفك واحد من هذين عن الاخر »(۱) .

بل انه يلقي خطابا بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس جماعة الاخوان المسلمين يقول فيه:«وفى الوقت الذى يكون فيه منكم معشر الاخوان المسلمين ، ثلاثمائة كتيبة قد جهزت نفسها روحيا بالايمان ، وفكريا بالعلم والثقافة ، وجسميا بالتدريب والرياضة ، فى هذا الوقت طالبونى أن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم عنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيد جبار ، فانى فاعل ان شاء الله »(۲) .

أما « مصر الفتاة » فبعد أن ترددت برهة أمام التعصب الاسلامى ، فانها سرعان ما اتجهت نحو التيار الفاشستى والحقيقة أن أحمد حسين لم يحاول أن يخفى نفسه ، فهو يعلن صراحة « ان الفكرة التى أوحت الى موسولينى بالقميص الأسود فى ايطاليا والتى أوحت الى هتلر أن يبتكر القميص البنى فى ألمانيا هى التى اوحت الينا أن نفعل مثلما فعلوا »(۳) .

---

(۱) حسن البنا — مذكرات الدعوة والداعيه . دار الكتاب العربى (القاهرة) — ص ١٥١ .

(۲) د. اسحق موسى الحسينى — الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة ص ٢٨ .

(۳) حمد حسين — ايمانى . الطبعة الاولى — مطبعة الرغائب (١٩٣٦) — ص ٧٤ .

وأحمد حسين يرفض الدستور وفكرة الأغلبية البرلمانية ، بل النظام البرلمانى ككل . ويصف سنوات الحياة البرلمانية فى مصر بأنها « عشر سنوات ضاعت وتأخرت بها الأمة عشرين عاما الى الوراء . وأنها ضاعت فى القيل والقال ، بين خطب ومناقشات ومفاوضات وبين خلافات حزبية ونيران مستعرة وبرلمانات تشاد وبرلمانات تهدم »(١) .

ويؤكد أحمد حسين انه « يكره النظام البرلمانى الذى يقوم على تعطيل الأعمال و تعويق الانتاج ، والذى يحول البلاد الى مسرح من مسارح الخطابة والتمثيل » . ويقول بلا حياء : « ونحن نريد فى نهاية الأمر نظاما لا تكون فيه الكلمة للجهال وهم فى كل مكان الأكثرية »(٢) .

ويقوم أحمد حسين برحلة الى ايطاليا وألمانيا ليعود فيؤكد : « اننا سوف نثبت جدارتنا بالسير ببلادنا فى الطريق الذى سلكه من قبل هتلر وموسولينى »(٣) .

ثم لا يلبث أحمد حسين محتميا بنفوذ السراى أن يدعو صراحة الى انقلاب فاشى شامل : « يا من بايعتمونى ، لابد من انقلاب ، لابد من قوة ، ولا قوة بغير تضحية . اذا أردنا اصلاح هذه العجلة القديمة، عبثا نحاول ترميمها ، أو نغير بعض أجزائها . لابد من

---

(١) الصرخة — ١٩٣٣/١٠/٧ .
(٢) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٨/١ .
(٣) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٧/٤ .

تحطيمها تحطيما واعادة بنائها . وذلك هو الانقلاب الذى تحتاجه البلاد . . كل شىء يحتاج الى انقلاب . . لابد من انقلاب يكتسح هذه الحشرات التى يسمونها وفدا أو نحاسا أو مكرما أو برلمانا »(١) .

وهكذا كان النحاس يواجه تآمرا حقيقيا وخطيرا .

القصر ضده وزعماء الأقلية جاهزين دوما للحكم رغم ارادة الشعب ، والتيارات الدينية والفاشستية احتمت بالقصر لتحشد تنظيمات عسكرية شبه فاشستية تحاول أن ترهب بها جماهير الوفد ، وأن تفرض ارادتها على الشارع المصرى الذى لم يعرف سوى سيطرة واحدة هى سيطرة حزب الوفد .

وتمتد أعماق المؤامرة عندما ينضم أقطاب أحزاب الأقلية ليساندوا الدعاوى الفاشية . « فالأحرار الدستوريون » لا يجدون مهربا من سيطرة الأغلبية البرلمانية الساحقة للوفد سوى التمسح هم أيضا بالدعاوى الفاشية فتكتب جريدتهم : « وقد لا نخطىء اذا قلنا أن فكرة البرلمانية والفاشستية تجد كل منهما فى مصر أنصارا اذا عرضنا للبحث ، ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا أن الروح الفاشستية تلقى تأييدا أشد حرارة من الروح البرلمانية(٢) .

---

(١) تقرير اتهام النيابة العمومية فى قضية الجناية رقم ٨٧٦ السيدة زينب — لعام ١٩٣٩ .

(٢) السياسة — ١٩٣٦/٨/٣١ .

ويمتد التحالف ليصل الى المكمن الفعلى للخطر . . الى دول المحور ، وتتجمع العديد من الحقائق عن علاقات مريبة ومؤكدة بين كل من القصر والاخوان المسلمين ومصر الفتاة وبين دول المحور .

ولقد قاوم النحاس ذلك الحلف الفاشستى ما وسعته المقاومة . حاول أن يردعه بسطوة القانون . وأصدر ، وهو رئيس للوزراء ، قرارا بالحد من تنقلات زعماء مصر الفتاة ، فأوعزت السراى لأحد أتباعها من النواب بأن يوجه استجوابا عن أسباب ذلك ، ويرد النحاس ، بنفسه ، معلنا أمام البرلمان أنه قد « ثبت لوزارة الداخلية ان جمعية مصر الفتاة تعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد »(١) .

وتلمح صحف الوفد صراحة الى أن الدولة المقصودة هى ايطاليا ، وقالت ان ايطاليا أنفقت فى مصر خلال عام ١٩٣٥ مبلغ عشرين الف جنيه على الدعاية وحدها وأنها ضاعفت هذا المبلغ فى عام ١٩٣٦(٢) .

لكن النحاس لا يكتفى بالهجوم على صغار الثعابين بل انه يوجه ضرباته الى رأس الأفعى . فتكتب جريدة « المصرى » متهمة السراى صراحة بمساندة الفاشية « . . فالديكاتورية اذا كانت شرا فى صورتها الشعبية

---

(١) مجلس النواب — الهيئة النيابية السادسة — مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الاول — المجلد الاول للعام ١٩٣٦ — مضبطة جلسة ١٩٣٦/٧/٢٢ — ص ٩٧ .
(٢) آخر ساعة — ١٩٣٦/٧/١٩

كما هى فى ايطاليا والمــانيا فان شرها ليجاوز الحــدود والقيود اذا تولاها رجال السراى ، وقد صدق زعيم الأمة حيث قال : ليس أسوأ من حكم رجال السراى فى أى بلد من البلاد »(١) .

هكذا كانت المعارك عنيفة والأعداء كثيرين متشابكين خيط واحــد يجمعهم : العــداء للشعب والعــداء لحكم الأغلبية .

ومن هنا ، كانت معركة النحاس من أجــل الدستور معركة ضارية وحاسمة . وكان يعتبر أن النضــال من أجل الدستور هو بالنسبة للوفد مسألة حياة أو موت . فالوفد لا يملك رصــيدا من رضاء السراى أو رضــاء الاحتــلال . ومن ثم فان سبيله الوحيــد للحــكم هو الانتخابات البرلمانية واعمال الدستور .

لكن تحالف « القصر ــ أحزاب الأقلية ــ التيــارات المتعصبة والشبه فاشستية » لم يكن سوى طرفا واحدا من أطــراف الصراع ، فهنــاك الطرف الأخطــر وهو الاحتلال البريطانى .

ولقد كان الانجليز يكرهون الوفد ، ويكرهون النحاس اكثر من كراهيتهم لأى وفدى آخر ، ولطالما استخدموا السراى وأحــزاب الأقليات لضرب الوفــد وابعاده عن الحكم .

---

(١) المصرى ــ ١٩٣٨/٧/٣١ .

ولقــد كان النحاس يكره الانجليز ، ولطالمــا قاومهم وحرض شعب بلاده على مقاومتهم .

لكن قيام القصر والجماعات الموالية له (مصر الفتاة والاخوان المسلمين) باقامة علاقات مباشرة مع المحور ، وضع الأمور كلها فى منعطف جديد ، وخلق اشكالا جديدة من التهادنات والتحالفات .

من هنا ، يمكننا أن نفهم معاهدة ١٩٣٦ ، وان نفهم لجوء النحاس الى تكوين فرق القمصــــان الزرق كقوة ضاربة للوفــد قادرة على كبت القوة الضـــاربة شبه العسكرية للقمصان الخضر (مصر الفتاة) وكتائب الجوالة (الاخوان المسلمين) .

ومن هنا أيضا يمكننا أن نفهم أحداث ٤ فبراير (شباط) ١٩٤٢ .

وعلى أية حال فان كل ما سبق لم يكن محاولة لايجاد مبررات لأعمال قام بها النحاس واختلف حولها التفسير والتأويل ، لكنه كان ــ وفقط ــ مجرد محاولة لايضاح طبيعــة المسرح الذى قــدر للنحاس أن يؤدى دوره السياسى فوق خشبته .

وكل ذلك فى ظل أزمة اقتصـــادية خانقة كانت تخنق النظام المالى والاقتصادى الزراعى والصناعى معــا ، وتخيم على مصر بجــو كئيب من الــكساد والتــدهور والبطالة .

ولسنا نريد أن ندخل فى تفاصيل الأوضاع الاقتصادية المدهورة لكننا سنكتفى بمجرد نموذج يكفى بذاته لاعطاء صورة صادقة عن مدى عمق وجدية الأزمة الاقتصادية.

فقـــد تدهورت أحوال المنتجين الزراعيين والمـــلاك العقاريين بحيث قدر البعض أن غالبية الأملاك العقارية مستغرقة بالديون . وقدر اجمالى الديون بعشرة ملايين جنيه ، لكن جريدة « المقطم » سارعت بالرد عليه معلنة أن الديـــون العقارية لا تقـــل عن عشرين مليـــونا من الجنيهات(١) .

واذا شئنا تحديدا رقميا أكثر دلالة فان الاحصائيـــة التالية توضح قيمة الأراضى والمنازل التى نزعت ملكيتها بسبب الديون .

---

(١) تلينى فهمى باشا — آراء وذكريات فى السياسة والاقتصاد والاجتماع — مطبعة المجلة الجديدة — ١٩٣٧ ص ١٠ .

(بالجنيهات المصرية)(١)

	عام ١٩٣٧	عام ١٩٣٨	عام ١٩٣٩
بطلب أفراد	١ر١٥٢ر٨١٩	٦٨٩ر٣١٣	٦٤١ر٤٨٤
بطلب بنوك	٧٩٢ر٥٣٥	٤٧٨ر٥٢٦	٦٨٦ر٥٦٥
بطلب الحكومة	١٢ر٤٣٤	٣ر٧٠١	١٨ر٢٠٧
المجمـــوع	١ر٩٥٧ر٧٨٨	١ر١٧١ر٥٤٠	١ر٣٤٦ر٢٥٦

(١) محمد على علوبة باشا ــ مبادىء فى السياسة المصرية ــ مطبعة دار الكتب ــ ص ٥١ .

واذا كان هذا هو حال المالكين فلاشك أن المعدمين من أبناء شعب مصر ، وهم الغالبيـــة الســـاحقة ، قد لاقوا الكثير من الارهاق والعنت .

وكانت الأسعار ترتفع بصورة مضطردة كمـــا يتضح من الجدول التالى :

الأرقام القياسية للاسعار(١) .

السـنة	الرقم القياسى
١٩٣٩	١٠٠
١٩٤٠	١٢٤
١٩٤١	١٥٥
١٩٤٢	٢٠٠
١٩٤٣	٢٥٣
١٩٤٤	٢٩٩
١٩٤٥	٣١٧

(١) فوزى جرجس ــ دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى ــ مطبعة الدار المصرية (١٩٥٨) ص ١٨٠ .

وكان « الزعيم » حتى وهو فى كرسى الحكم يجد نفسه — فى كثير من الأحيان — عاجزا تماما عن التخفيف من آلام شعبه ..

فالاقطاعية المصرية كانت من ضيق الأفق بحيث رفضت اى شكل من اشكال الاصلاحية ، واعتبرتها « بلشفية » سافرة ولطالما تعرض النحاس للاتهام — حتى من بعض أفراد حزبه — بالبلشفية .

والقصر والاحتلال يقاومان أيضا أية خطى اصلاحية. وبرغم ذلك كله فقد نجح النحاس أن يميز فترات حكمه القصيرة باصلاحات هامة ظلت وستظل علامات هامة فى مجرى التطور المصرى العام .

وكنموذج للموجات « الاصلاحية » التى سجلتها الوزارات التى رأسها مصطفى النحاس نقدم هنا بعض منجزات وزارته التى شكلها عام ١٩٤٢ والتى استطاعت برغم الخطر الخارجى المحدق ، والأزمة الاقتصادية الطاحنة ، والتفسخ الشديد الذى عانى منه حزب الوفد أن تسجل نجاحات بارزة فى هذا الصدد .

* قانون استعمال اللغة العربية فى مكاتبات الشركات ومحرراتها وسجلاتها .

* مجانية التعليم الابتدائى .

* قانون عقد العمل الفردى .

* قانون التأمين الاجبارى ضد اصابات العمل .

* قانون تكوين نقابات العمال .

* تخفيف ضريبة الأراضى الزراعية على صغار المزارعين واعفاء من لا تتجاوز الضريبة المربوطة على أرضه خمسون قرشا من الضريبة .

* اقامة مشروع المجموعات الصحية .

* انشاء ديوان المحاسبة وجعله هيئة مستقلة تماما عن السلطة التنفيذية محاطة بسياج من الضمانات .

* قانون استقلال القضاء الذى كفل للقضاة مبدأ عدم العزل .

وهكذا ، وبرغم الصعوبات والضغوط يمكن القول بأن فترات حكم النحاس كانت فترات انفراج نسبى تحققت فيها لمصر ولشعبها غالبية ما نالته من مكاسب واصلاحات .

لكننا يتعين علينا ـــ ولكى لا نقلل من حجم هذه الاصلاحات ـــ أن نعيد تذكر أسطر هذا الفصل ، حتى نستطيع أن نتخيل حقيقة المعركة التى كان النحاس يخوضها من أجل أن يجابه أعداءه ، ويراوغهم ، ثم يمرر كل هذه الاصلاحات برغم أنفهم .

الفصل الثانى

الـــوفـــد

لم يكن الوفد حزبا بالمعنى المفهوم . كان تجمعا شعبيا هائلا معاديا للاستعمار وللسراى ، وكانت الجماهير الغفيرة التى التفت حوله تؤمن به باعتباره السبيل المتاح لمناهضة أعداء الوطن وتحقيق أمانى الأمة .

ولم يكن للوفد برنامج سياسى أو اجتماعى بالمعنى المفهوم . وحتى ان وجد فقد كان مجرد استكمال للشكل ، فلا القاعدة تمسكت به ولا القيادة سعت لتحقيقه ، ويمكن القول بأن أهداف وبرامج ومنهج حزب الوفد الحقيقية لم تكن أكثر من عدد من المواقف العملية تجاه الاحتلال والسراى وأحزاب الأقلية . وقد تراكمت هذه المواقف العملية لتصبح تراثا نضاليا تميز به الحزب عن غيره من أحزاب الأقلية التى كانت ، لفرط ضعفها وعزلتها عن الجماهير ، لا تجد من سبيل لوصولها الى الحكم سوى الخضوع للاحتلال ولمشيئته الأمر الذى كان يؤدى بها الى المزيد من الانعزال والضعف ، مما أدى — وبالضرورة — الى تزايد جماهيرية الوفد ونفوذه .

ولم يكن الوفد حزبا منظما بالمعنى المألوف للكلمة .

كان تجمعا هائلا ، بغير حصر لعضويته ، ولا بطاقات عضوية ، ولا حتى شروط للعضوية ، وكانت قاعدته المنظمة هى لجان الوفد بالأقاليم والمدن . وهى لجان يجرى اختيارها من قبل قياداتها الأعلى . وهى ، أيضا، لجان ادارية محدودة العدد ، محدودة الكفاءة لا يمكن لها أن تعبر — ولو بأدنى صورة — عن حقيقة النفوذ الجماهيرى الشامخ للحزب .

ولقد يقول البعض أن افتقاد التنظيم كان نقطة ضعف فى الوفد ، بينما يرى البعض الآخر أن هذا « الافتقاد » كان ميزة وطابعا للوفد بمعنى أنه قد جعل منه وعاءا لكل الشعب أو لغالبيته العظمى ، وأن « الوفديين » كانوا بغير حصر ولم يكن من الممكن وضع « قوالب » تنظيمية أو فكرية تشملهم جميعا .

وسواء كان افتقاد التنظيم ميزة أم عيبا ، فان مايعنينا هنا هو أن « الزعيم » لم يكن ليستطيع اذا ما اختلف مع القيادة — وسوف نرى نوعية تشكيلها — أن يناور كثيرا باسم « القاعدة » : فهى تكوين « هلامى » غير قابل للتعداد ولا للاستفتاء أو التصويت .

ومن ثم لم يكن امام الزعيم سوى أن يعتمد علىنفسه فى مجابهة اختلافاته مع قيادة الحزب وعلى تيار الرأى لعام غير المنظم ، وعلى تراث الحزب وهى جميعا مسائل نسبية تتفاوت امكانيات تأثيرها باختلاف الظروف والأوضاع .

واذا كانت قاعدة حزب الوفد هلامية التكوين ، فان القيادة قد تميزت بقبضة متزايدة الأحكام لكبار الملاك الزراعيين الذين استفادوا من عدم تنظيم القاعدة ، ومن عدم وضع قواعد منضبطة لاختيار القيادة ، ومن عدم وجود مواثيق فكرية مكتوبة واجبة الالزام للحزب ، فتربعوا على عرش القيادة جيلا بعد جيل .

والحقيقة ، أن نفوذ كبار الملاك كان طاغيا ، ومنذ البداية ، فاذا ما راجعنا تكوين « الوفد المصرى » ، فى

أعقاب الثورة ، لوجدنا أن الغالبيـــة الساحقة هى من الأسماء المعروفة بانتمائها لأسر اقطاعية .

ولقد عانى « سعد زغلول » كثيرا من هـــذا التكوين الاقطاعى للقيــادة . ولنأخذ نموذجا واحدا من هـــذه المعـــاناة :

بينما كان « الوفد المصرى » يفاوض الانجليز فى لندن فى يوليو (تموز) ١٩٢٠ ، أكـــد الانجليز لسعد زغلول اعتزامهم على اشراك السلطان فى المفاوضات،واعتبروا ذلك شرطا ضروريا . فماذا كان موقف سعد زغلول ، وماذا كان موقف قادة الوفد الآخرين ؟ .

يقول سعد فى مذكراته الخطية وتحت تاريخ (٧ منه) (٧ يوليو ١٩٢٠) : « حضر مستر ولرند (مندوب اللورد ملنر) الساعة السادسة مساء ، وأخبرنى بأن اللورد ملنر كان أرسل تلغرافا الى اللورد اللنبى (المنـــدوب السامى البريطانى فى مصر) فى ٣٠ يونيو (حزيران) جوابا على أسئلته المتكررة عن سير المفاوضات،وأطلعنى على هذا التلغراف بالانجليزية ، وترجمه هو بمساعدة محمد محمود باشا . وجاء فى التلغراف : « الغـــرض الذى نرمى اليه هو عقد محالفة بـــين بريطانيا ومصر ، تضمن انجلترا بواسطتها استقلال مصر وسلامة كيانها بصفة كونها مملـــكة دستورية » ، وجاء فى التلغراف : « كل معاهدة من هذا القبيل ستأخذ شكل محالفة بـــين جلالة الملك والسلطان ، ويصير من الضرورى تدخـــل السلطان عند انتهاء المفاوضات ، بمجرد تحقق اللجنة من أن زغلول وزملائه يريدون هـــذه المعاهدة . وكان

المتفق عليه — فى أول الأمر — أن هذه المحادثات لاتكون الا جسا للنبض ، ثم اذا أخذت شكلا مرضيا — كما هو المنتظر — يكون من الضرورى تجاوز هـذا الدور الى الدور الرسمى مع مندوبين رسميين يتعينون من الحكومة المصرية . ويلزم أن يكون تعيين هؤلاء المندوبين بواسطة السلطان الذى يحتل المكان الأول فى المفاوضات . ومن البديهى أن زغلول وواحدا أو اثنين من زملائه ، وعدلى يكن باشا — الذى كان لوجوده تأثير حسن معتدل — يجب أن يكونوا ضمنهم »(١) .

وهكذا ، فوجىء سعد زغلول وهو فى لنـدن أن أمرا يدبر لارغامه على الخضوع للسلطان والتنـازل له عن الزعامة وعن زمام المبادرة .

وثار سعد ، ويصف ثورته هذه فى مذكراته قائـلا : « فاعترضت اعتراضـا شـديدا على ما تضمنه هـذا التلغراف » ، وقلت له : « اننا نرفض أن نتفاوض بأمر السلطان بالاشتراك مع أى انسان كان ، بل لا نتقبـل هذا السلطان »(٢) .

هذا الموقف الحاسم ، قوبل من قيادة الوفد المصرى بالرفض بل بالذهول الغاضب الذى أجبر سعد على أن يجابههم مجابهة عنيفة بالغـة العنف وصلت الى حـد التهديد . ولنمض مع سعد فى مذكراته التى سجل فيهـا

(١) سعد زغلول — مذكراته الخطية — ص ٢٠٤٨ .
(٢) المرجع السابع ص ٢٠٥١ .

كيف هاجمه أعضاء « الوفد » بعنف واتهموه ولاموه . يقول سعد : « قلت الأمر سهل هين . ان كنتم مع قبول تلك الملاحظات تمضون ، فهذا شأنكم ولا حجر على حريتكم » . قال قائل منهم : « ورأيك أنت ؟ » قلت : « أنا لا أقبله ولا أمضيه » . قالوا : « كيف تخالف الاجماع ؟ » ، (وهكذا يتضح أن الاعيان اجتمعوا جميعا على معارضة موقف سعد زغلول الذى تحداهم وتحدى اجماعهم) قلت : « أخالف كل اجماع فى مسألة أساسية وهذه من أخص المسائل الأساسية ، فلا أطيع فيها غير صوت ضميرى » . قالوا : « ولكن مبدأ التضامن ماذا تقول فيه ؟ » . قالت : « لا أتضامن مطلقا فى مخالفة الأساس ، ولا أتضامن مطلقا فى هذا » .

وحاول « الأعيان » حصار سعد زغلول وحاولوا ارغامه لكنه أبى . وعندما وصل الى حافة اليأس صاح فيهم : « وما تقدرون عليه فلكم فعله ، من محاكمة فحاكموا ، أو تأديب فأدبوا ، أو رفت فارفتوا ، ولكن شيئا واحدا لا يمكنكم ، وهو أن تقهرونى على الامضاء ، فان هذا ليس فى استطاعتكم ، وما اقيد حرية أحد منكم ، ولا أسمح لواحد من خلق الله أن يعتدى على حريتى فى اعتقادى ، وافعلوا ما شئتم وقولوا ما شئتم »(١) .

الى هذا الحد ، كان سعد يعانى من قيادة الوفد ، والى هذا الحد ، كان يضطر الى مجابهتهم .

وثمة رواية أخرى تعزز هذه الفكرة ، أيضا ، يرويها

---

(١) المرجع السابق ــ نفس الصفحة .

حمد باشا الباسل وكان عضوا مع الوفد المصرى فى باريس فيقول انه : « لاحظ أن نفوس الأعضاء لم تكن متآلفة ، كان الأعيان من الأعضاء يقولون أن سعد زغلول يريد اعلان الجمهورية فى مصر ، ويعتقدون أنه بذلك سيخرب البلد ، ولم يكن سعد زغلول فى أول الثورة من أنصار الجمهورية ، ولكن بعد شهر من قيامها بدأ يفكر فيها والسبب اننا كنا متغيبين فى مالطة وجاءت برقية تقول ان احدى المديريات أعلنت استقلالها وأعلنت الجمهورية .

واهتم سعد زغلول بهذا النبأ ومكث يحدثنا فيه حتى الصباح ..

ويمضى حمد الباسل فى ذكرياته قائلا : « وكان أعضاء الوفد — وخصوصا الأعيان منهم — يرون أن هذا اتجاه جنونى وانه سيؤدى الى انفضاض الأعيان عن الثورة والى قيام البلشفية . وقال عبد العزيز فهمى : اذا كنا لا نستطيع أن نحتمل سعد زغلول كرئيس وفد فكيف نحتمله رئيس جمهورية ؟ وكان سعد يسمى المعارضين فى خلع السلطان « جمعية عبيد السلطان »(١) .

فاذا كان هذا هو حال سعد زغلول مع قيادة الوفد ، وقد كان « باعتداله » ، و « مرونته » أكثر قبولا لديهم من « رئيس » اشتهر بالتطرف مثل النحاس ، فكيف

---

(١) مصطفى أمين — الكتاب الممنوع — أسرار ثورة ١٩١٩ — الجزء الاول — دار المعارف ص ٢٦

يكون الأمر بالنسبة للنحاس ، علما بأن « سعدا » كان قد اكتسب — أيضا — رصيداً هائلا من محبة الجماهير والتفافهـا حوله خـلال أيام الثـورة .. بحيث كانت معارضته — فى نظر الجماهير — نوعا من انواع الخيانة للوطن ولقضاياه .

ولكى نستطيع القياس يكفى أن نقول ان النحاس كان على يسار سعد ، وكان أكثر تطرفا واشد راديكالية منه . ولم يكن هناك ما يشده نحو طبقة « الأعيان » أو يربطه بها بينما كان « سعد » شديد العلاقة بالطبقة وأن تمايز عن « رجالها » . وكنموذج للعلاقة بين سعد والنحاس سنكتفى بايراد الواقعة الآتية :

عندما شكل سعد وزارته الأولى عام ١٩٢٤ — وكان النحاس فيها وزيرا للاوقاف — حاول الانجليز ابـداء حسن نواياهم تجاهه ، واعربوا له عن طريق كـير — القائم باعمال البريطانى — عن استعدادهم لتلبية مطلبه بالافراج عن المسجونين السياسيين الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية(١) .

وفى ٧ فبراير (شباط) ١٩٢٤ ورد لسعد خطـاب من كير يعلنه فيه أن الحكومة البريطانية « مستعدة لأن توافق — الى أبعد حد ممكن — على عفو عام عن جميع المسجونين الذين « يمكن » الافراج عنهم طبقـا لرأى

---

(١) د. عبد الخالق لاشين — سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية — دار العودة بيروت — ص ٣٦١ .

دولتكم ، ورأيى ، بغير احداث اضطراب للامن العام ، واضاف : « أن الحكومة البريطانية مستعدة للتنازل عن ضرورة عرض قضاياهم على اللجنة المشكلة ، طبقا للمذكرات المتداولة بتاريخ ٥ يوليو (تموز) ١٩٢٣ »(١) .

وفى ٨ فبراير توجه القائم بالأعمال البريطانى لزيارة سعد زغلول وابلغه أن الانجليز يرون ألا يشمل العفو سبعة أو ثمانية أشخاص من الذين حكم عليهم مؤخرا . ووافق سعد زغلول على ذلك بل وأبلغه شكره .

واعقب ذلك اجتماع لمجلس الوزراء ، وعرض عليه الأمر فكان المعترض الوحيد على هذه المساومة هو مصطفى النحاس .

ولنترك سعد زغلول ليروى هذه الواقعة فى مذكراته : « .. وكان من رأى النحاس أن نفتح السجن لكل محكوم عليه من المحاكم العسكرية فرأيته رأيا شططا وانتهرته لأنى رأيته قد شطح كثيرا »(٢) .

---

(١) ملف القضية رقم ١٠٤ كلى مصر لسنة ١٩٢٦ محفظة رقم(١) والملف مودع بالمتحف القضائى .

ويراجع ايضا :

— مذكرات عبد الرحمن فهمى محفظة رقم (٤) (ملف ٢٤ — ٢٥) ص ٢٠ — ٢١ — ٢٥ .

— وايضا :

— WAVELL — Allenby in Egypt — London (1944) pp. 103.

(٢) سعد زغلول — مذكراته الخطية — الكراس رقم ٤٧ ص ٢٧٨٤ .

فمـــاذا يمكن أن يكون موقف هؤلاء الأعيـــان الذين عارضوا سعدا أشد المعارضة والجأوه الى أن يصرخ فى وجوههم : « وما تقدروا عليه فلكم فعله ، من محاكمة فحاكموا ، أو تأديب فأدبوا ، أو رفت فارفتوا » . ماذا يمكن أن يكون موقفهم من شخص يرى فيه ســـعد انه « يشطح كثيرا؟ ؟ » .

ولكى نعرف مدى نفوذ كبار الملاك العقاريين فى قيادة حزب الوفد يكفى أن نقول انهم كانوا يشكلون نســـبة ٨٣ر٣١٪ من مجموع اعضاء أول لجنة مركزية لحـــزب الوفد . وفى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٢ ضم الوفـــد ١٢ عضوا جديدا الى قيادته كان منهم ٨ من كبار الملاك الزراعيين(١) . وبعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، عاد الوفد ليعزز مواقع كبار المـــلاك الزراعيين فى صفوف قيادته العليا ، فضم اليها أمثال فؤاد سراج الدين باشـــا ـــ محمد سليمان الوكيل ، محمد المغازى عبد ربه باشا ، محمد الحفنى الطرزى باشا ، محمد محمود خليل بك ، بشرى حنا بك » (٢) وكلهم من عتاة الاقطاعيين .

فاذا ما أخـــذنا نموذجا آخـــر هو عضوية المجالس التشريعيـــة (مجلس الشيوخ والنواب) فاننا نجـــد أن

---

(١) المقطم ١٩٣٢/١٢/٣ (وقـــد اعتمدنـــا فى تحديد كبار الملاك الزراعيين فى هذه الاحصائيات والاحصائيات التالية على أساس قوائم الخاضعين لقانونى الاصلاح رقم ٧٨ لسنة ١٩٥٢ ورقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١) .

(٢) محمد زكى عبد القادر ـــ أقدام على الطريق ـــ (١٩٦٧) ـــ ص ٣٤٧ .

هيئة مجلس الشيوخ الأولى (١٩٢٤ — ١٩٣٠) وكان للوفد النفوذ الأساسي فيها كانت نسبة كبار الملاك فيها ٨٨ عضوا من ١٧٨ أى ٥٠٪ وفى الهيئة الثالثة للمجلس التى بدأت عام ١٩٣٦ والتى كانت للوفد نفوذ كبير فيها ايضا كانت نسبتهم ١٥١ عضوا من ٢٩٩ أى ٥٠٪ أيضا(١) .

فاذا انتقلنا الى مجلس النواب ، وحاولنا تتبع الهيئات النيابية التي كان للوفد السيطرة الحزبية عليها ، فاننا نجد مثلا أن الهيئة النيابية الأولى (١٩٢٤/٣/١٥ — ١٩٢٤/١٢/٢٤) وهى التى سجل فيها حزب الوفد أول اكتساح انتخابى كانت نسبة كبار الملاك فيها ٤٣ر٥٪ والدورة السادسة (١٩٣٦/٥/٢٣ — ١٩٣٨/٢/٢) — وكانت غالبيتها الساحقة ، أيضا ، لحزب الوفد — كانت نسبة كبار الملاك فيها ٤٨ر٥٪ (٢) .

فاذا اتينا الى مجالس الوزراء نجد أيضا أن النسبة الغالبة من وزراء حزب الوفد كانوا من كبار الملاك .

ولقد تشكلت فى مصر ، منذ وزارة حسين رشدى باشا ، فى ١٩١٤/٤/٥ ، وحتى وزارة على ماهر التى الفها عقب قيام ثورة يوليو (فى ١٩٥٢/٧/٢٤) خمسون وزارة كان متوسط نسبة كبار الملاك الزراعيين فيها

---

(١) د. عاصم أحمد الدسوقى — كبار ملاك الاراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى من ١٩١٤ — ١٩٥٢ . رسالة دكتوراه (غير منشورة) ص ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٦٨ .

٣٥ر٥٨٪ (١) . ولقد يبدو هذا الرقم مثيرا وغريبا . ولكن الشيء الأكثر اثارة وغرابة هو أن نسبة كبار الملاك فى وزارات حزب الوفد كانت تزيد بكثير عن هذه النسبة المتوسطة . ففى الوزارة التى ألفها النحاس باشا بعد حادث ٤ فبراير — (١٩٤٢/٢/٤ — ١٩٤٢/٥/٢٦) كان عدد الوزراء ١١ وزيرا منهم ٧ من كبار الملاك الزراعيين أى بنسبة ٧ر٦٣٪ . ولما أعاد النحاس تشكيل وزارته فى ١٩٤٢/٥/٢٦ بعد طرد مكرم عبيد ارتفع عدد كبار الملاك الزراعيين الى تسعة وزراء من ١٤ أى بنسبة ٢ر٦٤٪ (٢) .

وهكذا فقد قدر على مصطفى النحاس أن يدير دفة الأمور فى حزب يضم أمواجا هائلة من جماهير غير منظمة وقيادة تسلطت عليها وعلى أدوات التحكم فيها (الوفد المصرى — مجلس الشيوخ — مجلس النواب — مجلس الوزراء) نسبة عالية بل ومتصاعدة من كبار الملاك الزراعيين .

وكان لابد لذلك كله من ان يترك أثره على أسلوب « الزعيم » ومنهجه وطريقته فى تناول الأمور .

ولعلنا نخطيء خطأ فادحا لو تصورنا أن النحاس كان مطلق التصرف فى اتخاذ القرار الذى يريد وخاصة فى حزب كحزبه .

---

(١) المرجع السابق — ص ١٧٨ .
(٢) فؤاد كرم — النظارات والوزارات المصرية — الجزء الاول — دار الكتب المصرية ص ٤١٧ .

ولعلنا نخطىء ــ أيضا ــ لو تصورنا ان الانقسامات المتعاقبة والتى دبرها أعــداء الوفد فى السراى لم تكن لتترك أثرا شديدا على حرية النحاس فى الحركة وقدرته على المناورة .

والحقيقة ، ان النحاس قــد تلقى ــ خلال زعامته للحزب ــ عدة صدمات عنيفة لعل أولها انشقاق محمود فهمى النقراشى باشا والدكتور أحمد ماهر باشا وكانت لهما مكانة عزيزة فى قلوب الوفديين . فقــد نظر اليهما طويلا كأبطال للمقاومة السرية ضد الاحتلال . ويؤكد د . محمد حسين هيكل باشــا فى مذكراته ان الشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الجامع الازهر ، وكان من المستشارين المقربين للقصر ، كان يدبر المؤامرات لحث النقراشى وماهر على الانشقاق بهــدف « انقسام الوفد وضعفة »(١) .

ثم ما لبثت مؤامرات على ومصــطفى أمين ضــد النحاس أن أثمــرت فتحولت صــفية زغــلول ــ تحت تأثيرهما ــ الى سياسة مناوئة للنحاس . وهــكذا « انقلب بيت ســعد زغلول بقيــادة مصــطفى وعلى أمين حربا على الوفد ، وخاصة بعــد أن أصدرا جريدة اخبار اليوم فى خدمة القصر . وبهذه الخاتمة المؤسفة انقلب « بيت الأمة » الى بيت « خصوم الأمـة »(٢) .

---

(١) د. محمد حسين هيكل . مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ص ٤٣ .

(٢) د. عبد العظيم رمضان ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ الى ١٩٤٨ ــ الجزء الاول . ص ١١٢ .

وكانت الضربة الثالثة هى انقســـام مكرم عبيد باشا أحد الاركان الاساسية فى الحزب . والحقيقة انه برغم أن مكرم عبيد لم يخرج من الوفد الا بنفر ضئيل جدا ، لا يؤثر فى قليل أو كثير فى الكثرة العددية للحزب ، الا أنه بمكانته الشخصية وبتاريخه الطويل فى الوفد ، وبالحملة العنيفة والقاسية التى شنها على الوفد وعلى النحاس شخصيا عقب انشقاقه عن الحزب قد ترك جرحا داميا بغير شفاء فى جسد الوفد .

وبرغم أن الكثيرين يعرفون حق المعرفة أن انقســـام مكرم عبيد ، وما تلاه من معركة ، لتشويه سمعة الحزب وسمعة النحاس باشا واسرته كانت مؤامرة دبرتها السراى ، الا ان الضوضاء التى صاحبت صدور الكتاب الاســـود والمعلومات التى وردت فيه (وكثير منهـــا صحيح) قد تركت أثرا مؤلما واحساسا بالمهانة لدى الكثيرين من الوفديين المخلصين ..

والشىء المؤكد ، ان النحاس باشـــا كان بشخصة نظيفا ونزيها بصورة لا تقبل النقاش . وكان يعلم ، باحساس مرهف ، انه ما من انسان يستطيع ان يتصدى لزعامة شعب كشعب مصر وان يحافظ على مكانته فى قلوب جماهيره ما لم تكن نزاهته فوق اية شبهات ..

لكن المؤكد ان الكثيرين من قادة الوفد ، وخاصة من تلك الفئة من كبار الملاك الزراعيين ، لم يكونوا ـــ باية حال ـــ فوق مستوى الشبهات . وقد روجوا لفكرة غـــريبة تقول : ان الوفـــديين قد عانوا من الاضـــطهاد طوال فترات حكم الاقلية ، وانه يتعين اتاحة الفرصة

امامهم لبعض « الكسب » تعويضا عن « شظف » السنوات الماضية .

ولقد تفشت المحسوبية بالفعل ، لكنها لم تكن طابع الحكومات الوفدية وحدها بل طابع النظام الحاكم ككل . غير انه لم يكن بامكان الوفد ، كحزب وطد عزمه على مقاومة الاحتلال والسراى واحزاب الاقلية ، ان يعارض هؤلاء جميعا ثم يبقى بمنجاة من تشهيرهم خاصة وأن كثيرا من رجاله لم يكونوا بالفعل بعيدين عن الشبهات .

وهكذا ، وبعد حياة حافلة بالنضال والتحدى الشجاع والتعفف ونظافة اليد يجد النحاس نفسه مطالبا بأن يدفع التهم عن نفسه وأسرته وحزبه ، ويجد من يجرؤ على أن يسجل فى تقرير رسمى دونته لجنة مشكلة بقرار من مجلس الوزراء عبارات تقول : والواقع الذى لا يسع اللجنة الا تسجيله — مع بالغ الحزن والاسف — ان فضائح العهد الماضى لفرط جرأة أصحابها واستهتارهم بكل مسئولية ، لم تكن مقصورة على الحاكمين ، ومن ليهم من المحسوبين عليهم من الأقرباء والأنسباء ، بل تعدتهم الى محيط أوسع شمل الكثيرين من أعضاء الهيئات النيابية والموظفين والاهلين . وقد ساهموا جميعا فى هذه العمليات كل بسهمة ، اما كشريك أو كعميل أو كوسيط ولقد كانت النتيجة المحتومه لذلك النشاط المشئوم أن العهد نفسه طبع بطابع الاستغلال المعيب » (١) .

---

(١) تقرير لجنة التحقيق الوزارية فى الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية الاخيرة — المطبعة الاميرية بالقاهرة . (١٩٤٥) ص ١ .

وهكذا حكم القدر على النحاس ان يتحمل عبء الدفاع والتكفير عن اخطاء غيره .. وحكم عليه ان يمضى فى معركته محاربا فى اكثر من جبهة ، وضد اكثر من عدو . ولعل معركته الكبرى كانت داخل صفوف حزبه ذاته ..

لكننا ، ولكى لا يساء فهم ما نقصد ، نود أن نؤكد أن كل ما سبق من عوامل سلبية ، وان تركت أثرا حاسما وضروريا على قدرات «الزعيم» وامكانياته فى الحركة ، وحدت من حريته فى المناورة وقللت بالضرورة من قوة الدفع فى حركته ، الا انها لم تغير من طابع الحزب كحزب وطنى ديمقراطى مناهض للاستعمار وللحكم الأتوقراطى للسراى ، ولأحزاب أقلية التى لم تجد من سبيل للحكم سوى الخيانة السافرة ..

فبرغم كل ما سبق ظلت جماهير حزب الوفد الغفيرة وجموع الشباب الثورى فى صفوفه قادرة على التمسك — والى حد كبير — بالتراث النضالى للحزب وظلت قادره — فى كثير من الاحيان — على شل اليد الرجعية عن أن تنفرد بزمام الامور فيه ..

ولعل اهم ميزة فى مصطفى النحاس هو قدرته على الاحساس بنبض حركة الجماهير ، وعلى الوصول اليه ، وعلى استخدامه سلاحا فى معركته المستمره ضد أعدائه خارج وداخل الحزب ..

فبغير هذا الايمان العميق بالشعب وبالجماهير ما كان يمكن لرجل مثل مصطفى النحاس ان يثبت على مبادئه وان يتشبث بها فى وجه أعاصير عاتيه .

* * *

الفصل الثالث

الـــزعـيـــم

عندما عين اللورد كيلرن (السير ما يلز لامبسون) مندوبا ســـاميا بريطانيا فى مصر ، فى فترة عصيبة من أحلك فترات الامبراطورية البريطانيه ، تلقى من رؤسائه تحذيرا وحيدا .. « خذ حذرك من مصطفى النحاس » .

وعندما أقام كيلرن حفل الاســـتقبال الاول ، بعد وصوله الى مصر ، تجاهل كل من حضرها من السياسيين المصريين ، وتعلقت ابصاره بسلم قصر المندوب السامى البريطانى ليرى النحاس باشا وهو يصـــعد الدرج ، بسرعة وعصبية . ووصفه فى مذكراته قائلا رجل ضئيل الجسم يرتـــدى ردنجوتا فضفاضا ، يصـــعد بسرعة ، يبرز صدره الى الامام وكانه يتحدى العالم ، ويشعر « كيلرن » أنه أمام « خصم » حقيقى ..

أما دافيد كيلى ، مستشار دار المندوب الســـامى البريطانى ورجل مخابراتها العتيد ، فقد وصف النحاس بانه « رجل بسيط ، لكن بساطته معقدة ، تشبه بساطة الثعلب الماكر » .

ولعل أعتى خصمين للنحاس « كيلرن » و « كيلى » قد استطاعا بالفعل ان يلخصا ـــ ولو بصورة مبهمة . هذه الشخصية التاريخية الفذه : شخصية « مصطفى النحاس » .

ابن تاجر ريفى صغير ، درس الحقوق ، وأصبح محاميا فقاضيا . انضم الى « الوفد المصرى » ممثلا « للحزب الوطنى » . ثم فجأة يتخطى الجميع . يقفز ، متجاوزا أقرب المقربين من سعد ، ليصبح وببساطة الرجل الثانى فى الحزب .. ثم خليفة سعد زغلول .

مصطفى النحاس ، ذلك الرجل الذى استحوذ ، ببساطته وعناده فى الدفاع عن حقوق مصر ، على حب شعب بلاده ، واستحوذ على أكبر قدر من العداء والخصومة . . من خصوم مصر واعدائها . .

هذا الرجل . . الذى جسد فى بساطته ودهائه ، فى استسلامة العنيف وتمرده الهادىء ، فى مرونته و ندفاعه ، فى عصبيته الظاهرة، وتصرفاته المدروسة . . جسد ، فى ذلك كله ، مدرسة متكاملة فى السياسة المصرية استطاعت ان تتخذ لنفسها مكانا خاصا من قلوب الامة . . وتاريخها . .

خليفة سعد ، حبيب الامة ، زعيم الشعب ، الرئيس الجليل ، حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس .

* * *

عندما مات سعد زغلول كانت مصر كلها حزينه ، ذلك النوع من الحزن الذى يطغى على كل شىء ، فيصبح رمزا للحب والوجد والرهبة معا .

وتكتب جريدة البلاغ « مات سعد . . بغير هذا النبأ أعدت الاسماع ، وبغير هذه الصيحة جرت الالسنة . بالحياة اقترن اسم سعد ، فما سمعناه الا والحياة له لزام ، والدعاء له صلاة وقيام ، وما عرفنا سعدا الا حيا

تسرى منه حيـــاة الى النفوس ، وتخفق بـــة قوة فى القلوب »(١) .

فمن هو الرجل الذى يستطيع أن يملأ هذا الفراغ الهائل ، ان يدفع تلك الملايين من الحناجر التى هتفت من اعماقها « يحيا سعد » الى ان تهتف وبنفس الحماس « عاش النحاس » .

والحقيقة ان الكثيرين لم يتصـــوروا ان ذلك الرجل البسيط ، الحاد المزاج .. الهادىء التفكير يمكنه أن يخلف سعد .. بل ان احـــدا من المراقبين لم يرشحه لذلك ..

الديلى تلجراف البريطانية رشحت فتح الله بركات(٢) أما جريدة « وست منستر جازيت » فقد تنبأت بانهيار حزب الوفد(٣) .

اما « الديلى اكسبريس » فقـــد نشرت تقول : ان دوائر الوفد تميل ميلا صريحا الى معارضة كل سعى لا يجاد خلف لزغلول باشا فى رياسة الوفد . وتعترف انه من المستحيل ، فى الظروف الراهنة العثور على أى شخص قادر على تحمل هـــذا العبء الثقيل .. وان النية تتجه لتعيين لجنة تنفيذية صغيرة العدد(٤) .

---

(١) البلاغ ١٩٢٧/٨/٢٨ .
(٢) المقطم ١٩٢٧/٩/٤ .
(٣) الاهرام ١٩٢٧/٩/٤ .
(٤) الاهرام ١٩٢٧/٩/١٥ .

وبدات صـــحف المعارضة تنشر برقيات من لندن تقول : ان تكوين لجنة ثلاثية لقيادة الوفد سوف تؤدى الى تمزيق وحدة الوفد(١) ، بل ان (التيمس) اللندنية قد أكدت استحالة اختيار شخص « يخلف الزعيم الراحل الذى يتفوق على جميع اتباعه تفوق النخلة على صغار الشجر(٢) .

وكان « النحاس باشا » فى أوربا عند وفاة « سـعد » فعاد مسرعا ، ووقف أمام قبره فى حشد من قادة الوفد ليقسم أمام الجميع ، وهو يبكى ، على المضى فى الجهاد قائلا : ان روح سعد ستظل مشرفة علينا ترقب جهادنا، وتغذى نفوسنا حتى ننال الاستقلال التام(٣) .

وهكذا حول النحاس الحزن الجـارف الى واجب محدد « الجهاد لنيل الاستقلال التام » .

وفى يوم ١٤ سبتمبر ١٩٢٧ ، اجتمع الوفد المصرى بكامل هيئته ليقرر انتخاب « مصطفى النحاس » رئيسا . ولكنه قرر عدم الاعلان عن اختياره حتى يعرض الامر على الهيئة البرلمانية للحزب .

وفى ١٩ سبتمبر ، عقد الوفد المصرى اول اجتماع له برئاسة مصطفى النحاس ليوجه بيانا الى الامة جاء فيه :

---

(١) السياسة ١٩٢٧/٩/٨ .
(٢) الاهرام ١٩٢٧/٩/١٠ .
(٣) السياسة ، البلاغ ١٩٢٧/٩/١٥ .

أيها المصريون ، ان الوفد المصرى وقد كان اول مظهر لنهضتكم وأجرأ وثبة الى مجدكم ، لا يزال باقيا ، وسيبقى مقياسا لقوتكم ، وعنوانا حيا لجهادكم ، ونواة لوحدتكم ، ولسان صدق لآمالكم والامكم . لقد فجع الوفد فى رئيسه ، ولكنه لا يزال حيا قوى الحياة بأمته ، واحدا فى كتلته ، أمينا على عهده ، وفيا ليومه وغده .. ولن يترك ميدان الشرف حتى يتحقق مجد البلاد باستقلالها صحيحا ، وحريتها كامله(١)» .

انها نفحات النحاس .. حماسه ، اصراره ، حسمه ، تطل من البيان الاول لتحدد مصير الوفد ، ومصير النضال ضد الاحتلال .

ومع ان اسم النحاس لم يعلن رسميا ، فقد تسرب الخبر كأحد الاحتمالات ، فأحدث ذلك فزعا فى صفوف خصوم الوفد ، وفى مقدمتهم الانجليز .. قالت « وستمنستر جازيت » لقد تردد اسم النحاس باشا وهو من الجناح الأيسر فى الوفد ، فى حين أن بركات باشا والشمسى باشا حائزان للميل للجناح الأيمن(٢) .

أما مراسل الديلى تلجراف فقد أرسل يحذر من احتمال أن يتولى النحاس رئاسة الوفد وقال « واذا صح هذا ، فانه يعنى رجوع الوفد الى سياسة المعارضة الشديدة لكل سعى لعقد اتفاق بين انجلترا ومصر على

---

(١) أحمد شفيق باشا ــ حوليات مصر السياسية ــ الحولية الرابعة ــ عام ١٩٢٧ ــ ص ٤٧٤ .
(٢) المقطم ١٩٢٧/٩/٢١ .

ساس تصريح ٢٨ فبراير .. ويعنى أن الوفد قد صرف
نظر عن سياسة التوفيق الهادئة التى يمثلها فتح الله
كات باشا »(١) . .

ويبدو أن الانجليز كانوا يمارسون نوعا من الضغط
لبا لزعيم معتدل للوفد ، وليتجنبوا بالتحديد اختيار
صطفى النحاس الذى وصفوه أكثر من مرة بأنه يمثل
يسار » الوفد .

وردا على هذه المحاولات ، كتب عباس العقاد الذى
ان وفديا وقتذاك : « لقد ذهب أوان الايقاع باسم
لاسلام والمسيحية . وباسم الباشوات وأصحاب
لجلاليب الزرقاء . وباسم الأحزاب والزعماء ، ووصلنا
لان الى دور الايقاع باسم التطرف والاعتدال فى هيئة
احدة هى على الجملة هيئة المتطرفين الغلاة فى عرف
لسياسة البريطانية »(٢) .

ولم يعبأ النحاس باتهامه بالتطرف . وفى نفس اليوم
لذى أعلن فيه رسميا اختياره زعيما للوفد ألقى خطابا
لتهبا معاهدا الأمة على « أن نسير فى طريقنا المرسوم
حتى تنال البلاد غايتها من الاستقلال التام الصحيح
الحرية الكاملة »(٣) .

وفى أول تصريح صحفى أدلى به النحاس ، بعد توليه

---

(١) الاهرام ١٩٢٧/٩/٢١ .
(٢) البلاغ ١٩٢٧/٢/٢٢ .
(٣) الاهرام ١٩٢٧/٩/٢٧ .

زعامة الوفد ، أكد : « أن الاستقلال التام هو غايتنا ، والعمل له هو موضوع جهادنا ، وهو الذى أكدنا عليه عهدنا »(١) .

لكن النحاس ــ كعادته ــ يتعجل الصدام . وكان أول صدام يخوضه بعد اسبوع واحد فقط من توليه الزعامة . فقد اقترب يوم ٩ أكتوبر (عيد الجلوس الملكى) وقرر الرجل أن يمنع « الملك » من الاحتفال بعيد جلوسه ، احتراما لأحزان الأمة على وفاة سعد . وبدأت الصحف الوفدية حملة عنيفة على الحكومة التى حاولت الاحتفال .. وكتب عزيز ميرهم عضو مجلس الشيوخ الوفدى مقالا عاصفا : « فليهنأ بالعيد من يشاء ، وليهنأ بالزينة ضعاف العقول صغار الاحلام ، وليشترك فى الوليمة أشخاص ليس لهم فى الوطن نصيب لا قليل ولا كثير ، ولتفتح خزينة الدولة على مصراعيها تغدق أموال الفقراء فيما لاحظ لهم فيه ، نافعا كان أو ضارا . كل ذلك وضع للشىء فى غير محله ، وخروج مفضوح على الواجبات الأولية للمجاملة واللياقة ،ونصب الأفراح وسط المأتم العام » .

ولكن المقال العنيف يمضى عنيفا الى نهايته ، موجها الهجوم الى شخص الملك « يجب أن نعلم جميعا ان جلالة الملك ، مدين للحركة الوطنية التى كان سعد على رأسها، ولولا قيام تلك الحركة التى ساسها سعد بحكمته واقتداره لما كانت مصر اليوم مملكة ، وكانت مجرد

---

(١) البلاغ ١٩٢٧/٩/٢٩ .

ســـلطنة ترزح تحت عبء الحمـــاية »(١) وكان هـــذا المقال نغمة جديدة تماما فى التعامل بين « الوفـــد » و « القصر » أعلن به النحاس ، وبعد أسبوع واحـــد فقط من توليه رئاسة الوفد ، موقفا جديدا وجريئا تفرد به على مدى تاريخ مصر الحديث ، هو الصدام العنيف ضد سلطة القصر ، والحكم الأوتوقراطى .

وهكذا بدأ الرجل البسيط ، ابن تاجر الأخشـــاب الصغير فى سمنود .. معركته مع القصر الملكى .

تلك المعركة التى بلورت الوجدان الشعبى ، رويدا رويدا ، وعبر سلسلة من الصدامات ، والاقالات ، والتحديات ، على حقيقية أن الشعب هو السيد وان الملك مجرد خائن عميل للاستعمار .

ولعل تلك المعركة .. التى بدأها النحاس بعد أسبوع واحد من توليه الزعامة .. مفتاح هام لفهم تلك الشخصية التى عجز الكثيرون عن فهمها .

ولم تكن هذه أول الصدامات ولا آخرها ، لـكنها مجرد نموذج .. وحتى قبل أن يتولى النحاس زعامة الوفد ، وعندما كان محاميـــا يترافع عن أحمـــد ماهر ومحمود فهمى النقراشى ، فى قضية اغتيال الســـير لى ستاك ، وقف النحاس ليعلن وبأعلى صوته « انى أتهم علنا ، وفى مجلس القضاء ، النيابة العموميـــة

---

(١) الاهرام ١٩٢٧/١٠/٥ .

بالاشتراك مع رجال السلطات فى التدبير لاغتيال ماهر والنقراشى .. أكتبوا هذا عنى ، وانشروه على الملأ »(١) .

وامسك الجميع أنفاسهم ، فالجميع يعلمون ان كلمة « السلطات » هذه تعنى « دار المندوب السامى البريطانى » .. شخص واحد لم يمسك أنفاسه فجر اتهامه فى بساطة شديدة واكمل مرافعته ومضى .. هو مصطفى النحاس ، أنه مفتاح آخر لفهم شخصية الرجل .

بل ان النحاس المحامى قد قبل ان يوكل فى قضية الأمير سيف الدين الخصم اللدود للملك ، والذى اطلق عليه الرصاص ، وقرر الملك وضعه فى مستشفى للامراض العصبية ، لكنه هرب لكى يبحث عن محام شجاع يطالب بحقوقه وميراثه ، ولم يجد محاميا أكثر جرأة من النحاس ليترافع فى قضيته ضد الملك (٢) .

وعلى امتداد الثلاثينات ، ركز النحاس نضاله ونضال حزبه فى أربعة اتجاهات رئيسية :

١ ـ النضال ضد الاحتلال البريطانى .

٢ ـ النضال ضد السراى وضد السلطة الأوتوقراطية .

---

(١) صلاح عيسى ـ حكايات من مصر . دار الوطن العربى بيروت ـ ص ٢٦٢ .
(٢) صلاح عيسى ـ المرجع السابق ـ ص ٢٦٠ .

٣ ــ النضال ضد الاتجاهات الفاشستية والعناصر الموالية للمحور والاتجار بالدين .

٤ ــ النضال من أجل الدستور ضمانا لحق الحزب صاحب الأغلبية البرلمانية فى الحكم .

١ ــ ضــد الاحتلال البريطانى

كانت دار المندوب السامى البريطانى هى المصـدر الأساسى للسلطة . ومن هنا كانت « أحزاب الأقليـة » تستمد قدرتها على البقاء فى الوزارة ابعادا « للوفد » صاحب الأغلبية البرلمانية دون منازع على امتـداد تاريخ الحياة البرلمانية منذ فجر الاستقلال وحتى ثورة يوليو ١٩٥٢ . واذا كانت أحزاب الأقلية قـد استمدت قدرتها على الحكم من خضوعها لسلطات الاحتلال فقـد استمد الوفد نفوذه الانتخابى الكاسح من تقاليـد نضاله ضد الاحتلال .

وبرغم ما فى معاهدة ١٩٣٦ من مساومات ، تمثـل الطابع الأساسى لبنودها ، فانه يمكن فهم مبررات عقد هذه المعاهدة فى ظروفها وملابساتها التى أملت على البورجوازية المصرية ضرورة التوصل الى اتفاق مـع بريطانيا فى هذا الوقت بالذات . وأملت على بريطانيا ضرورة عقد مثل هذه المعاهدة فى هذا الوقت أيضا . فقد « كان الانجليز حريصين على عقد معاهدة مع مصر تكفل لهم حقوقا قانونية » تمكنهم من اســتخدام أراضى وموارد مصر فى حرب كان العالم اجمع يتوقع

نشوبها . كذلك كان الزعماء المصريون حريصين ، هم أيضا ، على توقيع معاهدة مع الانجليز : ليس فقط من أجل الحصول على مكاسب جديدة مثل الغاء الامتيازات الأجنبية ، والتأكيد على الاستقلال السياسي .. الخ وانما أيضا لأنهم شعروا بالانزعاج من النفوذ الايطالى القريب فى ليبيا ، ثم الغزو الايطالى للحبشة (حيث موارد النيل) ، وحيث الحدود ملاصقة للسودان ، الأمر الذى دفعهم الى طلب نوع من الضمان البريطانى »(١) .

لكننا وبرغم ذلك نلاحظ أن النحاس ، وكل مفاوضى الجانب المصرى فى معاهدة ١٩٣٦ [وأغلبهم من الوفديين] قد انساقوا أكثر مما يجب فى المساومة ، ولم يحسنوا استخدام لا الظروف الدولية المواتية ، ولا عوامل السخط الشعبى المتفجرة كأدوات للضغط للحصول على مكاسب أكثر من الانجليز .

وكانت النتيجة حملة عاتية من قوى عديدة ضد النحاس وضد الوفد .

واضطر الوفد الى تبرير المعاهدة .. فجاءت تبريراته لتسبب المزيد من المعارضة لنهج الوفد .

ولقد حرص الوفد على أن يستخدم الدراسات القانونية المتخصصة فى هذا التبرير . فلجأ الى الدكتور محمد

---

(١) يوزباشى صلاح نصر ، يوزباشى كمال الدين الحناوى ، الشرق الاوسط فى مهب الريح (دراسات استراتيجية) — مكتبة النهضة — الطبعة الاولى (١٩٤٩) ص ٦٤ .

عبد الله العربى ، أستاذ القانون العام بكلية الحقوق ، ليعد دراسة بعنوان : « المعاهدة من الوجهة القانونية — معاهدة أغسطس ١٩٣٦ تحقق لمصر استقلالها التام ، وسيادتها الكاملة » (١) .

وقد اعاد الدكتور العربى طبع هذه السلسلة من المقالات فى كتاب حرص على أن يثبت على غلافه عبارة تقول : « التحالف العسكرى والشروط العسكرية لا يتعارضان مع السيادة الداخلية والسيادة الخارجية » (٢) .

ثم ينساق الوفديون ليرتكبوا أخطاء فادحة فى دفاعهم عن المعاهدة ووصل الأمر الى درجة أن احد كتابهم ألف كتابا عن المعاهدة تساءل فيه : « كيف نشكو من وجود طيارات الحليفة تدرأ الأذى عن البلاد ، ما دامت لم تكتمل لدولتنا الناشئة الاسراب الكافية لصد غارات الدول الغازية المجهزة بآلاف الطيارات .. كيف نشكو من « ضيافة » عشرة آلاف جندى » (٣) .

لكن خصوم الوفد يستخدمون المعاهدة ودفاع الوفديين عنها كأداة للهجوم على الوفد والنحاس .

---

(١) الجهاد — مجموعة اعداد شهر سبتمبر ١٩٣٦ .

(٢) د . محمد عبد الله العربى — المعاهدة من الوجهة القانونية — مطبعة سكر بمصر .

(٣) عبد الحليم الياس نصير — عهد الاستقلال — مطبعة عبد الحليم حسن — (١٩٣٦) ص ١ .

ولعل أطرف أسلوب للهجوم هو تلك الحجة التى تبناها بعض معارضى الوفد من ضرورة حل حزب الوفد وانهاء مهمته اذا ما كانت مصر قد حصلت على استقلالها بالفعل(١) . ذلك أن المادة الرابعة من قانون حزب الوفد تنص على « أن الوفد يقوم ما دام العمل الذى انتدب لأجله قائما وينقضى بانقضائه »(٢) ، وما دامت الدعايات الوفدية تؤكد أن معاهدة ١٩٣٦ هى معاهدة « الشرف والاستقلال » فلا مفر من أن ينهى حزب الوفد وجوده . وسجل فكرى اباظة هذه الفكرة على غلاف المصور فى صورة كاريكاتيرية تمثل النحاس باشا وهو يقدم لمصر المعاهدة قائلا « ها قد أمضيت المعاهدة وانتهت مهمتى »(٣) .

وردا على هذه الحجة السخيفة ، يتورط الوفديون فى مبالغات شديدة التطرف فى مديح النحاس . ويهدى أحدهم كتابه عن المعاهدة « الى محرر مصر .. ومن غير مصطفى النحاس حرر مصر منذ أن غزاها الفرس. ان أربعة وعشرين قرنا لتخر خاشعة بين يدى القائد الموفق ، وعلم الجهاد الخفاق ، ورسول السلام والوفاق ، وبطل سيشل ، وعميد الوفد ، ورمز الوحدة الوطنية ، وصاحب الرياسات الجليلة ، ومنقذ الدستور ، وبطل الجلاء »(٤) .

---

(١) آخر ساعة ١٩٣٦/٨/٢٠ .
(٢) قانون حزب الوفد المصرى .
(٣) المصور ١٩٣٦/٨/٢٨ .
(٤) عبد الحليم الياس نصير المرجع السابق — ص ١ .

وكان لابد لكلمات كهذه أن تثير أشجان ومخـــاوف الملك ومن حوله ..

كذلك فانه يتعين علينا أن نلحظ على مسار هـــذه المرحلة فترات من التهاون مع الانجليز ، وخاصة عندما كانت الوزارة النحاسية معرضة لمؤامرات القصر فى عام ١٩٣٧ ، فان النحاس حاول أن يجد لنفسه سندا فى دار المندوب السامى التى كانت — فى ذلك الحين — حريصة على أن يظل النحاس فى الحكم كسبيل لدرء مخاطر قيام حكومة موالية للمحور الذى كان نفـــوذه قد امتد وعمق جذوره فى القصر الملكى عن طريق الثالوث على ماهر — الشيخ المراغى — كامل البندارى .

وتقدم لنا وثائق أرشيف وزارة الخارجية البريطانية ، والمودعة فى المتحف البريطانى ، معـــلومات تؤكد أن النحاس قد أوفد أمين عثمان باشا الى السير مايلز لامبسون طالبا منه التدخل لحماية الوزارة النحاسية . ويكتب لامبسون الى وزير خارجيته قائلا : « وانه لأمر حيوى لمصلحة كل من مصر وبريطانيا أن نقف بشكل قاطع وراء النحاس باشا ، والا فلن نرى أمامنا الا طريقـــا لا نهاية له من الفوضى والعلاقات المشـــدودة » . لكن لامبسون يلاحظ ، فى نفس الرسالة ، ان هذا الموقف « يفترض أننا سوف نكون مستعدين للتعامل بصراحة مع الملك فاروق دون أى اعتبار لمـــا قد يقودنا اليـــه ذلك ، لأن الملك قد لا يعير نصيحتنا أى اهتمام . وعندئذ فماذا سوف نفعل ؟ » واجابة على هذا السؤال يميط لامبسون اللثام عن اقتراح خطير لأمين عثمان صـــديق النحاس ورسوله لدى الانجليز أن « أمين عثمان قد

اعترف بأن ذلك سوف يعنى أن نكون مستعدين للمضى بالأمور الى نهايتها المريرة » .

ولم يفت لامبسون أن يختم رسالته الى ايدن قائلا : « انه يرى من الصعب الى حد كبير التغاضى عن اقتراح أمين عثمان ، فهو رجل صافى الذهن وعملى ودوافعه ليست محل شك بأى حال » .

كذلك لم يفت سير لامبسون أن يستحسن فكرة خلع الملك ابقاء على وزارة النحاس ، بل انه يؤكد أن مثل هذه الخطوة « قد تكون انقاذا للموقف وهى على المدى الطويل قد توفر حيرة ومتاعب لا نهاية لها »(١) .

وردا على هذه البرقية الخطيرة يكتب ايدن قائلا : «اهتممت بفكرة توسيع قاعدة تشكيل الحكومة الوفدية، واننى على استعداد لمساندة النحاس اذا وافق على ذلك ، ولكننى سأكون غير راض الى حد كبير لو اننى ذهبت الى درجة قبول فكرة خلع الملك فاروق بأى حال الا بعد عقد قرانه ، وبعد أن تقل شعبيته الى حد كبير »(٢) .

بهذا ، فقط ، يمكن أن نفهم سر تساهل النحاس

---

(١) From Lampson to Eden — November 29, 1937 — Tel. No. : 679 - F.O. 407/221 — Public Record Office — London.

(٢) From Eden to Lampson — November 30, 1937 — Tel. No. : 560 — Public Record — London.

تجاه الانجليز فى كثير من الأحيان ، وبه أيضا يمكن أن نفهم حقيقة أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

لقد كان النحاس مخلصا فى صراعه ضد الانجليز ، لكنه كان وهو يخوض معركة استمراره فى الحكم ضد مناورات السراى ، وهو لا يريد أن يستند على قاعدة الجماهير العريضة وعلى تحركاتها ، لم يكن يجد سبيلا سوى اللعب على حبال التناقض بين الانجليز والقصر .

لكن فترات « التساهل » موقوته باحتياج النحاس لمساندة الانجليز فى معركة استمراره فى الحكم ضد مؤامرات القصر ، ومرهونة باستعداد الانجليز لتقديم هذا العون .

وما أن تنجح مؤامرات القصر فى الاطاحة بوزارة النحاس حتى يجد النحاس نفسه فى صفوف المتشددين ضد الانجليز .

لكننا ولكى نكون منصفين ، يتعين علينا الا نستدرج الى مثل هذه التعميمات ، فالنحاس الذى كان يدرك ضعف أسلحته تجاه الانجليز ، والذى كان يعرف انه ليس بامكان حزبه — بتكوين قيادته المعروف — أن يخوض معركة ثورية ضد الاحتلال ، كان يكمن ، كعادة الفلاح المصرى ، لخصمه منتهزا فرصته كى يضرب ..

ويمكن القول بأنه ، برغم كل التهادنات والمساومات تجاه الانجليز ، فان النحاس وحزبه لم يفقدا أبدا خط العداء العام للاحتلال البريطانى لكنه كان يكمن لفترة ثم يتوهج فى فترة أخرى .

وعندما كانت بريطانيا تعانى من ضربات النازى والريح تتجه على عكس ما تريد ، تدر النحاس أنها فرصته ليوجه مطالب جديدة للانجليز ، خصوصا وانه قد أخذ عليهم عدم مساندته — مساندة جادة — للاستمرار فى الحكم . وهكذا ، وفى أول ابريل ١٩٤٠ فاجأ الوفد الجميع بتقديم مذكرة شديدة اللهجة للسلطات البريطانية اتهمها فيها بأنها « باركت الانقلاب الدستورى واستغلته لصالحها رغم أحكام المعاهدة فى نصها وروحها » وقالت المذكرة « ان هذا الموقف البريطانى يعطى لمصر الحق فى أن تطلب من الحليفة أن تحدد موقفها منها وأن تقوم بنفس النصيب الذى تقوم به من المحالفة وتنفيذها وأن تقدر لمصر ، الدولة الصغيرة ، ما حملته وتحمله عن حليفتها الكبيرة من اعباء الحرب » .

ثم طلب الوفد من الحكومة البريطانية الاستجابة للمطالب الآتية التى قررها وقررتها هيئة البرلمانية وهى :

١ — أن تصرح — من الان — بجلاء القوات البريطانية عن مصر ، بعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح . وتبقى المحالفة فيما عدا ذلك قائمة بين الطرفين بالأوضاع المبينة فيها .

٢ — اشتراك مصر اشتراكا فعليا فى مفاوضات الصلح للدفاع عن مصالحها والعمل على تحقيق أغراضها معنوية كانت أو مادية .

٣ ــ الدخول فى مفاوضات مع مصر بعد انتهاء مفاوضات الصلح يعترف فيها بحقوق مصر كاملة فى السودان لمصلحة أبناء وادى النيل جميعا .

٤ ــ التنازل عن الأحكام العرفية التى أعلنت بناء على طلبها ، واخطار الحكومة المصرية بهذا التنازل .

٥ ــ حل مشكلة القطن بعدم الحيلولة دون تصديره الى البلاد المحايدة أو بشرائه بالأسعار والشروط المناسبة .

ثم تناولت المذكرة ، بعد ذلك بالتفصيل ، المطلب الخاص بالأحكام العرفية . فقالت : ان بقاءها يفسح المجال لاستغلالها من الحكومة القائمة ضد ارادة الشعب ، فضلا عن أن انجلترا نفسها لم تعلن الأحكام العرفية لا فى بلادها ، ولا فى مستعمراتها رغم اشتراكها فى حرب لا تزال مصر بعيدة عنها . ومن ثم فلا معنى اذا لتنفيذ المعاهدة فى ظل الأحكام العرفية التى لا ضابط لها ، كما هى مفروضة على مصر ، ولا معنى لان تمتد الرقابة على الأخبار العسكرية الى رقابة على كل الشئون المصرية « حتى أصبح المصريون فى عهد الاستقلال ، وكأنهم آلة عمياء صماء لا يسمع لهم صوت فى تصريف شئون بلادهم » .

ثم تعرضت المذكرة لمسألة القطن فصورت الأحوال الاقتصادية فى داخل البلاد تصويرا خطيرا وأعلنت أنها قد تطورت تطورا سريعا الى « خراب شامل فى الأموال العامة والخاصة ، وتدهورت الثروة الأهلية الى مادون الحضيض » .

وقد احدثت هذه المذكرة ردود فعل واسعة .. فقد أعربت وزارة الخارجية البريطانية عن انزعاجها الشديد ووجهت برقية عاجلة الى دار مندوبها السامى بالقاهرة تقول : « ابلغوا النحاس باشا فى الحال أن الحركة التى قام بها ونشرت على الناس فعلا قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعورا أليما للغاية »(١) .

اما على ماهر ، فقد وصف المذكرة بأفحش النعوت ، وتحدث عنها فى مجلس الشيوخ قائلا : انها « خروج على الدستور وخروج على قوانين البلاد ، وخروج على النظم القائمة ، هى خروج على العرش، خروج على الحكومة، وعلى البرلمان » .

وحاول على ماهر — كالعادة — أن يتفادى مناقشة مضمون المذكرة ليركز على الشكل متسائلا : « كيف يسمح فريق لنفسه بأن يتقدم لدولة أجنبية وأن يدعى أنه يتكلم باسم الأمة ؟ بأى وجه يدافع هؤلاء الناس عن تصرفهم فى تقديم هذه الأوراق التى تقدموا فيها بشكواهم للسفير البريطانى قائلين أنهم هم الذين يمثلون الشعب ، وان الحكومة لا تمثله ؟ أؤكد لحضراتكم أن هذا هو أشنع صور الازدراء بالاستقلال » (٢) .

بينما اكد عبد الرحمن الرافعى (الحزب الوطنى) أن هذه المذكرة « قد أحدثت فى البلاد رجة لأنها كانت

---

(١) د. عبدالعظيم رمضان . المرجع السابق — الجزءالثانى ص٥١

(٢) مجلس الشيوخ . مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الخامس عشر . مضبطة جلسة يوم ٣٠ ابريل ١٩٤٠ ص ٥٨٩ .

اول صيحة بالخروج على معاهدة ١٩٣٦ من
الهيئـــات التى وقعتها ، ومن الهيئـــة التى اعتزد
وروجت لها وحثت الناس على قبولها » .

وكتب عبد القادر حمزة مقالا لجريدة البـــلا
فيه : « ان ما فات مصر بين سنتى ١٩١٤ و ١٨
استدركه الوفـــد فى المـــذكرة التى تقدم بهـــا
البريطانى » ولكن الرقابة منعت نشر المقال(١)

وانهال سيل من البرقيات على « النحاس »
وقفته ضد الانجليز . . الذى صمم على تصعيد مـ
للانجليز ، برغم حرج الموقف ، وبرغم اتهام خصـ
بأنه بمعركته هذه انما يخرج . . « على العـــرش
الحكومة وعلى البرلمان » .

وتستمر المطـــارق الوفدية لتهـــوى ضـــد ـ
الاحتـــلال . .

وفى مجلس النواب ، وقف محمود سليمان غنا
تغلغل القوات البريطانية فى الأحيـــاء الآهلة بالسـ
الأمر الذى يعرض سكان هذه الأحياء للغارات الو
من طائرات المحور . وقال : ان هذه القوات قد تـ
« تغلغـــلا واضحا فى جميـــع الأحياء الوطنية ا
بالسكان والمدارس والشوارع والفنادق الوطنية

---

(١) المرجع السابق — خطاب يوسف الجندى — ص ٥٨١
من المضبطه .

أبرىء ذمتى وأقول ان بعض هذه القوات مرابط الآن فى مبنى على قيد أمتار من مسجد كبير فى القاهرة . تصوروا حضراتكم مدى هذا الخطر اذا ما وقعت الواقعة ، فان الألمان سيقولون أننا لا نقصد المصريين ، ولكننا نقصد الأهداف العسكرية »(١) .

وفى مجلس الشيوخ ، وقف يوسف الجندى ليهاجم السياسة الاقتصادية لبريطانيا تجاه مصر والتى اتسمت بالاستنزاف لكل ثرواتها ، وحرمانها من بيع قطنها للدول المحاربة والمحايدة ، ومن ثم ، فقد فرضت نفسها كمشتر وحيد للقطن المصرى ، وفرضت فى نفس الوقت سعرا للقطن يقل كثيرا جــدا عن سعره العالمى . وقال ان الانجليز « لا يتأثرون الا بمصلحتهم ومصلحتهم وحدها ، وكان يجب أن نفهم هذا .. والا نكرر عبارات الاستجداء بغير موجب » . ومضى يوسف الجندى قائلا : انسياسة بريطانيا تجاه القطن المصرى لا تستهدف تحقيق المصلحة الانجليزية فحسب وانما هى تقوم أيضا « على سياسة افقار الشعوب المحكومة . وانى آسف أن أقول هذا ، ولكنها هى الحقيقة التى وردت على لسان الكثيرين من الساسة الرسميين »(٢) .

ومن الطريف ، أن الانجليز قد لجأوا الى حجة غريبة للدفاع عن موقفهم من فرض سعر مخفض للقطن المصرى

---

(١) مجلس النواب ــ مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الرابع ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ ــ الجزء الثانى ص ١٤٥٩ .

(٢) مجلس الشيوخ . مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى السادس عشر ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ جلسة ٨ سبتمبر ١٩٤١ .

فقالت احـــدى الصحف الناطقـــة باسمهم فى مصر وهى « الاجيبشيان ميل » « بأن رفع السعر لا يفيـــد سوى طائفة الباشوات ، أما الزارع المتوسط والصغير ، وأما المستأجرون ، فلا يعود عليهم رفع السعر الا بالخسارة والجوع » .

وردا على هذه الحجة كتبت جريدة « الوفد المصرى » مهاجمة الانجليز لأنهم يحاولون « التفرقة بين الطبقات فى مصر وقالت : « لمصلحة من يريدون بذر بذور الشقاق بين هذه الطبقات ، واحداث مشكلة اجتماعية من أعقد المشكلات التى أقلقت بال أمم كثيرة ، ومصر بقيت ناجية منها الى الآن بفضل الله »(١) .

ثم يتقدم « مصطفى النحاس » بنفسه الى ميـــدان المعركة ، حيث « دبرت » له حفلة تكريم فى رأس البر كمبرر لاتاحة الفرصة لالقاء خطاب نارى ضد الانجليز وضد معاهدة ١٩٣٦ التى وصفها بأنها « أصبحت بعد عام واحد من تنفيذها غنما للانجليز وغرما على المصريين» وقال ان سوء النية فى تنفيذها قد بدا جليا للعيان ، وأن الأمر « يستدعى اعادة النظر فى المعاهدة لجعل نصوصها متفقة مع روحها » . وقال : « نصرنا الحليفة بكل صدق واخلاص فماذا كان جزاؤنا ؟ كان أن أهدرت كرامتنا ، وفقدت حريتنا ، وأعلنت الأحكام العرفية علينا وكممت أفواهنا ، وتحكمت الرقابة فينا ، وعـــدت أنفاسنا علينا وكسدت سوقنا ، وارتفعت أسعار المعيشـــة ،

---

(١) الوفد المصرى — ١٩٤١/٨/٢٣ .

وانخفض سعر نقدنا ، وسخرت قواتنا ومرافقنا ومصالحنا لصالح الانجليز ، ولم نجن من وراء ذلك كله شيئا ، بل لقد تدخل الانجليز فى شئوننا ، وتغلغلوا فى جميع مرافقنا ، ولم يراع فى توزيع القوات صيانة أرواح المدنيين مع تحقيق الأهداف العسكرية ، فاصبحت البلاد كلهسا هدفا لكل غارة ، حتى فقد المدنيون كل طمانينة وراحة وسلام » .

ثم قال : « يؤسفنى أن أصرح بأن الانجليز الذين يحاربون دفاعا عن الديمقراطية فى بلادهم يدأبون على العمل ضد الديمقراطية فى مصر . ولا ريب أنه اذا لم تكن الديمقراطية واحدة فى كل البلاد التى تناصرها فليست اذن هى فكرة يدافع عنها ، ومبدأ يناضل من أجله ، بل تكون هى والديكتاتورية سواء »(١) .

ومن حق النحاس علينا ان نقرر له انه لم يلجأ الى مثل هذا الهجوم العنيف عندما كان فى صفوف المعارضة فحسب ، بل لقد عاود التاكيد أكثر من مرة ، وبعد ان تولى الحكم — عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ — على ضرورة العمل لتعديل المعاهدة . وفى المؤتمر الوفدى الكبير الذى عقد فى نوفمبر ١٩٤٣ راح النحاس يعدد ما قدمته مصر لبريطانيا من مساعدات ، وما أدته من خدمات تنفيذا للمعاهدة . ثم قال : « ان حوادث الحرب قد غيرت الموقف تغييرا كبيرا حتى أصبح هذا التعديل ضرورة لابد منها ، ونتيجة لا ريب فيها . . وانى الآن أكاد

---

(١) المصرى ١٩٤١/٨/٤ .

الح باذن الله فجر اليوم الذى تأخذ فيه مصر المستقلة استقلالا تاما لا تشوبه أية شائبة »(١) .

ثم عاد ، وهو رئيس للوزراء أيضا ، وفى خطاب له أمام البرلمان القاه فى ٢٨ سبتمبر ١٩٤٣ ليؤكد تمسكه بمذكرة أول ابريل ١٩٤٠ ، ووصفها بأنها « بكل مطلب من المطالب القومية المدونة بها .. وفى مقدمتها الجلاء والسودان ، هى فخرنا ، وهذه المطالب الوطنية التى كان لنا شرف المناداة بها ونحن خارج الحكم فى سنة ١٩٤٠ ، لا تزال ولن تزال مطالبنا نعمل لها جهد امكاننا .. » ثم مضى النحاس قائلا : « والحكومة البريطانية الحليفة تعلم حق العلم مقدار تمسك الوفد بمطالب مصر الوطنية ومبلغ تصميمه عليها » .. ثم عاد النحاس ليؤكد موقفه هذا أمام مجلس النواب أيضا فى جلسة ١٢ يناير ١٩٤٤(٢) .

ولم تكن هذه المواقف هى المظاهر الوحيدة للصدام بين « النحاس » والاحتلال البريطانى .. بل ان النحاس قد حرص ، ومنذ توليه الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، على انتهاج مواقف متشددة تجاه الانجليز ، حتى فى المسائل التفصيلية والتى كان يمكن التغلب عنها مؤقتا .

---

(١) المؤتمر الوفدى — مستقبل مصر كما رسمه الزعيم مصطفى النحاس واقطاب الوفد المصرى فى نوفمبر ١٩٤٣ (عدد خاص اصدرته جريدة الحوادث) ص ٤٠ .

(٢) مجلس النواب . الهيئة النيابية الثامنة . مجموعة مضابط الانعقاد العادى الثالث . المجلد الاول عام ٤٣ — ١٩٤٤ . جلسة ١٢ يناير ١٩٤٤ .

فبعــد شـهر واحــد ، أى فى ٥ مارس ١٩٤٢ ، أمر النحاس ــ ودون التشاور مع الانجليز ــ بالافراج عن عزيز المصرى باشا وحسين ذو الفقار صبرى وعبدالمنعم عبد الرؤوف ، برغم خصومتهم الواضحة للوفد ، وبرغم علمه بتصميم الانجليز على ابقائهم بالسجن لأطول فترة ممكنة ، ولم يكتف النحاس بذلك بل أمر بشطب القضية أيضـــا .

ولعله من المفيـــد أن نروى هنا واقعة توضح لنـــا الأسلوب الذى اعتمده النحاس للتعـــامل مع سلطات الاحتلال .. صاحبة النفوذ الأساسى فى البـــلاد فى ذلك الحـــين .

كان المجاهد الفلسطينى محمد على الطاهر صاحب جريدة الشورى قد اعتقل بأمر الانجليز فى عهد وزارة حسن باشا صبرى ، ثم هرب من المعتقل ، الأمر الذى أثار الكثير من مخاوف الانجليز والحوا فى ضرورة ضبطه وايداعه المعتقل ، لكن محمد على الطاهر سلم نفســـه للنحاس فى ٧ مارس ١٩٤٢ ، وأمر النحاس ــ وعـــلى الفور ــ بالافراج عنه .. ويروى محمد على الطاهر ، أنه سمع النحاس يقول لأمـــين عثمان باشا : « قـــل للانجليز أنى أطلقت سراح الطاهر فعلا ، وسيخرج من عندى حرا .. وأن اعترض الانجليز على ذلك ، فقـــل لهم الا يفتحوا لى هذه السيرة . فأنا قد أطلقته وانتهى الأمر »(١) .

---

(١) محمد على الطاهر ــ ظلام السجن ، مذكرات ومفكرات ــ مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٥١ ــ ص ٤٩٤ ..

وليس من شك فى أن الانجليز لم يكونوا — مطلقا — سعداء بهذا النوع من التعامل ، وهم الذين اعتادوا على خنوع رؤساء وزارات الأقليـــات .. من أمثـــال توفيق نسيم وغيره ..

فاذا أضفنا الى ذلك — ما أسلفنا الاشارة اليه — من تشدد النحاس تجاه المطالب الوطنية ، واصراره على مذكرة ابريل ١٩٤٠ ، وعلى ضرورة تعديل المعاهدة — لأدركنـــا السبب فى أن الانجليز الذين دبروا حادث ٤ فبراير سرعان ما اكتشفوا أن عليهم أن يطيحوا ، وبالقوة بالرجل الذى فرضوه قبل عامين وبالقوة أيضا .



٢ — الملك يبكى من النحاس .. !

ذات يوم كتب دافيد كيلى فى مذكراته « لقد أسر لى صديقى حسنين باشا يوما بأن المـــلك فاروق كان يبكى من الاهانة حينما كان يلمس فى الصحف اهتماما بالنحاس أكثر من الاهتمام بشخص الملك »(١) .

والحقيقة أن النحاس قد انتهج وبحسم سياسة تقليم أظافـــر « القصر المـــلكى » وابعاد نفوذه عن الحيـــاة السياسية فى البلاد ..

---

(١) محمد عودة — المرجع السابق ص ١٥٤ .

والنحاس ، كمهاجم ، يفضل الهجوم المباغت،ولايترك لخصمه أية لحظة لالتقاط الأنفاس ، ولقد شاهدنا كيف اصطدم بالملك فؤاد فى الأسبوع الأول لتوليه رئاسة حزب الوفد ، وكيف أجبره اجبارا على عدم الاحتفال بعيد جلوسه .. وكما باغت النحاس فؤادا بالهجوم ، باغت أيضا فاروقا ـ حتى قبل أن يتولى العرش ، وحاول أن يقلم أظافره ثم يضعه على العرش مجردا من كل سلطة ..

وانتهز النحاس فرصة عهد الوصاية على العرش فأصدر القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ ، والخاص بانشاء مجلس الدفاع الأعلى ، وفى هذا القانون جرد النحاس الملك من كل سلطاته الاشرافية على الجيش ومنحها لرئيس الوزراء ، وألغى صراحة منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وهو المنصب الذى يتولاه الملك عادة(١) .

وقد تعجل مصطفى النحاس اصدار هذا القانون ، بحيث صدر بعد أن تولى فاروق العرش بيومين فقط . وقد فهم رجال السراى المغزى المقصود من هذا الهجوم. وكتب أحدهم تقريرا رفعه الى الملك جاء فيه أن هذا القانون « يدعو للتساؤل ويثير ظلالا من الشك حول الغرض الأصلى من انشاء مجلس الدفاع الأعلى »(٢) .

---

(١) القانون ٧٢ لسنة ١٩٣٧ بشأن انشاء مجلس الدفاع الاعلى .

(٢) وثيقة معنونة ـ الحكومة المصرية رقم ٦١٣٣ ـ تقارير الحكومة ٢ ـ الجيش ـ بحث فى مجالس الجيش وهيئة اركانه ـ مودعه بمكتبه رئاسة الجمهورية .

وقبل أن يتولى الملك العرش ، وخلال احتفالات توليته وقف النحاس معترضا على اقتراح الأمير محمد على ولى العهد باقامة حفل دينى ضمن مراسيم تولية الملك .

والحقيقة ، ان هذا الاقتراح لم يكن سوى جزء من مخطط متكامل أعده الشيخ المراغى ، يستهدف تقديم « الملك الشاب المسلح بسلاح الدين » كسلاح وحيد لمقاومة جماهيرية النحاس المسلح بحب الجماهير الشعبية .

ولقد اتضحت أبعاد هذا المخطط ، فيما بعد ، عندما خرجت جموع الوفديين تتحدى الملك هاتفة « الشعب مع النحاس » . فسير الشيخ المراغى مظاهرات من الأزهريين والاخوان المسلمين تهتف « الله مع الملك » .

المهم ، أن النحاس اعترض على اقتراح اقامة حفل دينى ، وقال ان ذلك « اقحام للدين فيما ليس من شئونه وايجاد سلطة دينية خاصة بجانب السلطة المدنية » .

وقد أعلن النحاس عن رفضه هذا فى خطاب مليىء بالتحدى ألقاه أمام مجلس النواب قال فيه : « الاسلام لا يعرف سلطة روحية ، وليس بعد الرسل وساطة بين الله وبين عباده .. وليس أحرص منى ، ولا من الحكومة التى اتشرف برئاستها ، على احترام الاسلام وتنزيه الاسلام ، كما انه ليس احرص منا على الالتزام بأحكام الدستور . ولكن الاحتفال بمباشرة جلالة الملك

لسلطته الدستورية شيء آخر ، فهو مجال وطني يجب أن يتبارى فيه سائر المصريين مسلمين وغير مسلمين»(١)

وتحديا للنحاس ، وبترتيب خاص من رجال القصر ، سير حسن البنا مظاهرات من الاخوان المسلمين اتجهت الى قصر عابدين « لتبايع الملك على كتاب الله وسنة رسوله »(٢) .

ولقد ظل « الملك » — طوال حياته — متعلقا بفكرة أن تمسحه بالدين هى السبيل لوحيد لكسب جماهيرية وشعبية فى مجابهة معارضة النحاس والقوى الوطنية والتقدمية الأخرى . وأخيرا نجح رجال القصر ، فى تشكيل لجنة تضم الشيخ الببلاوى ورئيس التشريفات وحسن باشا يوسف وكريم ثابت باشا(٣) ، وكانت مهمتها اثبات امتداد نسب فاروق الى الأسرة النبوية .. لكن هذه الخطوة جاءت متأخرة ، وبعد أن كان نفوذ القصر قد اضمحل تماما ، وبحيث لم يكن لها من رد فعل لدى الجماهير الشعبية سوى السخرية والاشمئزاز .

ولقد ظلت المعارك سجالا بين النحاس والملك ..

ووصل الأمر الى درجة أن النحاس اعترض على حق الملك فى تعيين مهندس كهربائى بالقصر دون استئذان

---

(١) المصرى — ١٩٣٧/٢/٢٢ .
(٢) حسن البنا — مذكرات الدعوة والداعية — ص ٢٥١ .
(٣) محاكمات الثورة — الكتاب الرابع — محاكمة كريم ثابت — شهادة حافظ عفيفى ص ٦٧٢ .

الوزارة .. وتصاعد الصدام حتى وجه الملك خطاب اقالة مهينا للنحاس ، كان الأول من نوعه فى تاريخ الحياة الدستورية المصرية ، فقد جاء فى الخطاب « نظرا لما تجمع لدينا من الأدلة على أن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم ، وانه يأخذ عنها مجافاتها لروح الدستور ، وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها لم يكن هناك بد من اقالتها » . وتخرج الجماهير لتتحدى الاقالة هاتفة « النحاس أو الثورة » ، « لا استقالة ولا اقالة » و « الدستور فوق الجميع » .

وتكون أول مظاهرات جماهيرية تتحدى الملك صراحة وتطعن فيه ..

لكن شيئا هاما يتعين علينا أن نتذكره ، هو أن الوفد لم يستطع أن يجابه هذه الخطوة الوقحة من جانب القصر مجابهة فعلية لسبب بسيط وهو أن القصر كان قد استعد لها بتدبير انقسام مؤلم فى الصفوف الوفدية . وكان « محمود فهمى النقراشى » أستاذ التنظيم ، بدلا من أن ينظم الجماهير الوفدية فى تمردها على الملك ، قابعا فى صفوف القصر « محركا » للمؤامرات ضد الوفد وضد النحاس .

والحقيقة انه كانت هناك « صفقة » عرضها الانجليز على النحاس لانقاذ وزارته من الاقالة . وقد أفصح سير مايلز لامبسون عن هذه « الصفقة » فى برقية وجهها الى وزير الخارجية البريطانية فى ٢٩ نوفمبر ١٩٣٧ جاء فيها : « على أننا يجب علينا أن نجعل تأييدنا مشروطا بتخليه عن سياسة الاحتكار فيضم اليه العناصر الصالحة

مثــل عبد الوهاب (فى شركة قنــاة السويس) وعلى الشمسى (لوزارة الخارجية) واحمد ماهر (للحربية) » .

كان هــذا هو الثمن المطلوب من النحاس كى يبقى رئيسا للوزراء . ويؤكد لامبسون أنه عرض الأمر على أمين عثمان ، وهو يقول لوزير خارجيته أنه فى مقابل ذلك سيتعين مساندة النحاس ، لكن ذلك قد يعني « أن نكون مستعدين للمضي بالأمور الى نهايتها المــرة ؟ ان ذلك يعنى استخدام القوة ، بل انه قد يعنى خلع الملك عن العرش »(١) .

والسؤال الذى قد يحير القارىء والباحث معــا هو لماذا كان الانجليز على استعداد كى يمضوا بالأمور الى نهايتها المرة مع الملك مقابل هذا الثمن ؟ ولمــاذا رفض النحاس أن يقبل الصفقة ؟ .

الجواب على السؤالين معا هو أن « الصفقة » لم تكن تعنى اضافة بضعة وزراء موالين للانجليز بقــدر ما كانت تعنى محاولة تغيير الطابع العام للقيادة الوفدية وللوزارة الحاكمة باسمها بحيث تصبح ــ بشكل عام ــ أكثر طواعية فى يد الانجليز .

ورفض النحاس الصــفقة .. وفضل أن يخــوض المعركة ضد القصر بأسلوبه هو ..

---

(١) — From Lampson to Eden, November 29, 1937 Tel. No. 679 Public Record Office (London) F.O. 407/221.

وينتهز الملك فرصة اقالة النحاس ، وتخلى الانجليز عن مساندته ، بعد رفضه للصفقة ، ليحاول أن يرتب فى هدوء ، نوعا من الانقلاب الدستورى يستجمع بموجبه كل السلطات فى يديه . ويدهش أعضاء مجلس الشيوخ الذين قابلوا الملك لرفع رد المجلس على خطاب العرش عندما يقول الملك لهم : « ليس يكفى رضاء الأمة عنكم ، بل يجب أن يكون معه رضاء الملك كذلك »(١) . ثم لم يلبث الملك أن أشهر هذا الانقلاب الدستورى فى خطاب وجهه بالراديو ، واختار له — عن عمد — ذكرى العيد الهجرى ، معلنا توليه لزمام كل الأمور قائلا : « ان ثقتى بنفسى وتوكلى على الله هو الذى يلهمنى تصريف الأمور ويوجهنى الوجهة الصحيحة »(٢) .

لكن النحاس لا يسكت ، فيدعو الهيئة الوفدية الى اجتماع طارىء لتصدر بيانا عنيفا تقول فيه : « ان الدستور والنظام الديمقراطى فى مصر قد أصبحا فى خطر ، وان الهيئة الوفدية ترى أن واجبها ان تعلن أنها لا تقبل بحال من الأحوال اى مساس بالدستور والحريات(٣) .

ولقد ظل « الملك » على اصراره دوما على تجنب تولية النحاس رئاسة الوزارة . وحتى عندما تدهور الوضع فى عام ١٩٤٠ ، وأمسك الانجليز بسلسلة من

---

(١) المصرى ١٩٣٨/٧/١ .
(٢) مصر الفتاة — ١٩٣٩/٢/٢٣ .
(٣) مصر الفتاة ١٩٣٩/٢/٢٧ .

الأدلة توحى بعلاقة وزارة على ماهر بالمحور ،وأصروا على اقالته واستبداله بالنحاس ، لجأ أحمد حسنين الى حيلة ماكرة .. يرويها بنفسه لمحمد التابعى قائلا : « رأيت أن نقوم بمناورة تمويه وتضليل .. فطلبت من الملك أن يوفد عبد الوهاب طلعت (وكيل الديوان الملكى) لمقابلة النحاس باشا فى كفر عشما لكى ألفت انظار السفارة وعيونها الى كفر عشما وأصرفها عما يجرى فى القاهرة . وهكذا ، وبينما كان عبد الوهاب طلعت فى كفر عشما ، كنت أنا قد اتصلت بحسن صبرى واعضاء وزارته وأعددت المراسم بتشكيل الوزارة .. وكان حسن صبرى صديقا للسفير وللانجليز وقد أخترناه لهذا السبب كسرا لحدة التحدى(١) .

ويعترف لا مبسون ، فى برقيه وجهها الى لندن ، بان القصر قد خدعه . لكنه يشير فى برقيتة الى أن « حسن صبرى باشا ووزارته المؤلفة من السعديين والأحرار والمستقلين مكونة ممن اشتهر معظمهم بالميل الينا »(٢) .

وتستمر المعركة ، ويستمر النحاس فى تصميمه على الهجوم ..

ويروى مصطفى أمين ــ ساعيا للوقيعة كعادته ــ « فى الأسبوع الأخير من شهر يوليو سنة ١٩٤٢ كتبت

---

(١) محمد التابعى ــ من أسرار السياسة والساسة ، مصر ما قبل الثورة ــ مطابع دار القلم ــ القاهرة ص ١٨٦ .

(٢) From Lampson to Halix — October 8, 1940, No. 938.

مقالا فى مجله الاثنين احى فيه حضرة صاحب الجلاله الملك ، بمناسبة ذكرى توليه سلطته الدستورية . وكان المقال عاديا، وصفت فيه شعورى نحو مليك البلاد وهو شعور كل مصرى . وكان طبيعيا ان يجيز الرقيب المقال ، فليس فيه انتقاد للوزارة ، وليس فيه مديح لخصم من خصوم الوزارة ، وليس فيه مهاجمة لنائب وفدى . وليس فيه شكوى من التموين أو المطالبة بالجلاء ، وهذه كلها كانت ممنوعات لا تجيز الرقابة نشرها بأمر من صاحب المقام الرفيع النحاس باشا الحاكم العسكرى .

ولكنى دهشت عندما طلب رقيب المجلة عرض المقـــال على مدير الرقابة . وعندما حمل الاستاذ الشافعى البنا رقيب المجلات الاسبوعية مقالى الى رفعة الحاكم العســـكرى ليعرضة عليه هالنى بعد ذلك ان علمت ان رفعته امر بان يعرض عليه شخصيا كل ما اكتبه عن جلاله الملك .

وفى اليوم التالى ، حضر الاستاذ الشافعى البنا يحمل المقال ويقول ان رفعة النحاس باشــــا امضى الليــل كله فى حـــذف وتعديل المقال . ورأيت المقـــال فاذا باغلبه محذوف بخط صاحب المقام الرفيع ، حذف رفعة الحاكم العسكرى قولى ان الملك فتح قصره لكل الأحزاب وكل الزعماء فليس للملك حزب لأن مصر كلها حزبه ، وليس له رجال لأن المصريين كلهم رجاله .

وحذف رفعة الحاكم العسكرى كل كلمة فيها اشادة بالملك ، أو أضاف اليها وحكومة جلالته ، ... وحـــذف

الحاكم العسكرى أن الملك فاروق « ملك دستورى لا يرضى بالدستور بديلا ، وأن الدستور لم يعطل فى عهده يوما واحدا » .. « ولم أصدق أن صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا تبلغ به الجرأة ويبلغ به الاستهتار — ولا أقول كلمة أخرى — فيحذف بيده التحية الموجهة الى ملك البلاد » (١) .

وليس من شك فى أن موقفا كهذا ، من جانب النحاس كان يعبر عن شجاعة منقطعة النظير ، واصرار لا يكل على مجابهة الملك ومعارضة نفوذه ..

ولقد بادل الملك النحاس نفس الشعور .. فعمل جهده على اضعاف نفوذه وعلى الكيد له .

ولم تكن « أخبار اليوم » ومدرستها الصحفية سوى محاولة من السراى لاستخدام اساليب الدعاية الحديثة فى خداع الرأى العام ومحاولة صرفه بعيدا عن نطاق النفوذ الوفدى .

ولم تكن الانقسامات التى دبرها « القصر » فى صفوف الوفد ، سواء انقسام النقراشى — أحمد ماهر ، أو انقسام مكرم عبيد ، سوى حلقات فى نفس المخطط ..

كذلك كان الكتاب الأسود ..

---

(١) أخبار اليوم — ١٩٤٤/١٢/٤ ؛ نقلا عن : صلاح نصر — عملاء الخيانة وحديث الافك — الوطن العربى — بيروت — ص ١٠

ويعترف أحد خصوم النحاس بالحقيقة قائلا :
شهرة النحاس باشا قائمة فى نفس الجمهور الى
على أنه رجل نزيه ، طاهر اليد ، وأنه ظل فقد
يفد من الحكم شيئا »(١) .

وهكذا ، كان الكتاب الأسود ضروريا لمحاولة
سمعة « الزعيم » الذى اشتهر بالنزاهة وطهار

والحقيقة أن صانعى « الكتاب الأسود » أنفسه
اعترفوا بدور السراى فى اعداده واصداره. و
جـلال الدين الحمامصى الذى قال عن نفسه :
اشتركت فى وضع الكتاب الأسود وطبعه وتوزيعه
يعترف دون خجل . وبصراحة غريبـة : « كان
فاروق متحمسا لفكرة الكتاب الأسود تحمسا
وكان يتابع أنباء اعداده ويسال عمـا تم طبعه
الاحتياطات التى اتخـذت لمنع الحاكم العسكر
افساد هذه الخطة ، بل انه قبل أن تودع صورة
وملحقاته من الوثائق فى احدى خزائن سراى عابدين
أن يحدد موعد تقديمه اليه واذاعته على الناس »

وهكذا تستمر المعركة سجالا .. ويجد الملك
أخرى لاقالة النحاس ..

---

(١) د. محمد حسين هيكل — مذكرات فى السياسة
— ج ٢ — ص ٢٧٦ .
(٢) جلال الدن الحمامصى — معركة نزاهة الحكم ،
١٩٤٢ ، يوليو ١٩٥٢ ، دار الكاتب العربى (١٩٥٧) ص
(٣) المرجع السابق ص ٣٠ .

ويستمر النحاس زعيم الأغلبية مبعــدا عن الوزارة حتى تجرى انتخابات ١٩٥٠ ــ فيكتسح الوفد كلخصومه ليفوز بأغلبية ساحقة فى مجلس النواب .. وأسقط فى يد الملك ولكن لم يكن هناك مفر من قبول وزارة النحاس مرة أخرى .

ويعترف كريم ثابت باشا ، وكان واحدا من اقــرب المقربين من الملك ، أمام محكمة الثورة بأن الملك « قبل النحاس على مضــض ، لأنه مــكانش عايزه ، ولكن النحاس معاه الأغلبية ، ومش ممكن ما يجيش ، لأن معنى كده أن الانتخابات كانت استفتاء ضد الملك ، فهو قبل النحاس على مضض لأنه كان بيسمع أن النحاس حاييجى يقلل من سلطته »(١) .

أما حسين سرى باشــا فيعترف فى شهادته ، أمام نفس المحكمة ، بأن الملك ذعر من نتيجة الانتخابات ، ومن مجىء النحاس وقال : « الملك السابق كان يعتقــد أن مجىء الوفد الحكم حيبقى صعب عليــه ، وحتبقى تحصل مشادات بينه وبين رجاله ، فطلب منى أن أكون رئيس ديوان : وقال لى : أنت السبب لأنك فىالانتخابات اللى عملتها كنت رئيس حكومة رجعت الأغلبية الوفدية ، ودول حاييجوا يعاكسونى ، فأنا عاوزك تيجى رئيس ديوان علشان تتقبل الصدمات »(٢) .

---

(١) محاكمات الثورة (الكتاب الرابع) اعداد كمال كيره ــ صدر عن مكتب شئون محكمة الثورة المضبطه الرسمية لمحاضر جلسات محكمة الثورة (محاكمة كريم ثابت) . ص ٦٩٧ .
(٢) المرجع السابق ــ ص ٦٥٤ .

لكن المشاكل بدأت منذ البداية الأولى .. وتفجر الخلاف قبل تشكيل الوزارة ، عندما صمم الملك على أن يبقى محمد حيدر باشا وزيراً للحربية ، وكان حيدر قد احتفظ بهذا المنصب في ثلاث وزارات متعاقبة النقراشي ، ابراهيم عبد الهادي ، حسين سري ، ليكون عينا للملك على مجلس الوزراء ، وليكون أداة لفرض سيطرة السراي الكاملة على الجيش ، وكان حيدر هو الذى حرك الجيش الى حرب فلسطين دون انتظار لأوامر رئيس الوزراء . لكن النحاس رفض ذلك رفضا باتا وأصر على تعيين وزير وفدى هو مصطفى نصرت(١) .

واذا كان هذا الخلاف قد أمكن تسويته بأن انشىء منصب جديد هو منصب القائد العام للقوات المسلحة يتولاه حيدر بينما أصبح مصطفى نصرت وزيرا للحربية فان خلافا آخر حول تشكيل الوزارة قد نشب واتخذ فيه النحاس موقفا متشددا وصارما أجبر بـه الملك على التراجع .

وكان الخلاف هذه المرة حول طه حسين ، ويروى هذه القصة حسين سرى باشا فى شهادته أمام محكمة الثورة (أثناء محاكمة كريم ثابت) فيقول : « لما طلب من النحاس تأليف الوزارة عرض على بعض الأسماء ، وكان من بينهم طه حسين ، بعضهم استبعدته بموافقة النحاس ، وقلت للنحاس بلاش طه حسين لأنهم فى

---

(١) أحمد حمروش — قصة ثورة ٢٣ يوليو — الجزء الاول — مصر والعسكريون . (المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت (ديسمبر ١٩٧٤) ص ١٤٣ .

السراى بيقولوا عنه أنه أفكاره يسارية فقال : ده أهمهم، فقلت له : أنت متشدد فيه ؟ فرد على بأن ده أهم واحد عندى انشالله تشطب الـكل أنا مستعد أتنازل عن كل الوزراء ما عدا طه حسين . فقلت للملك أدى الكشف واللى بيتشدد فيه النحاس قوى طه حسين ، فقـال مستحيل ، ده راجل افكاره يسارية قـل للنحاس انى مش عاوزه . ولكن النحاس زى ما قلت قال أنه مستعد أن يتنازل عن كل الوزراء الا طه حسين »(١) .

وكان النحاس مصمما على أن يستمر فى تلقين المزيد من الدروس للملك ومصمما على الاستمرار فى تحديه .

* * *

٣ ــ ضد الفاشست ، والاتجار بالدين ..

رأينا كيف أن محور على ماهر ــ المراغى ــ البندارى كان يبذل جهده لايجاد بدائـل شعبية تستقطب بعض الجماهير بعيدا عن الوفد .. .

وكيف ان الشيخ المراغى حاول أن يقـدم « الدين » و « رجال الأزهر » كعون للقصر فى صراعه ضدجماهيرية النحاس وشعبيته الطاغية .

---

(١) محاكمات الثورة ــ المرجع السابق ص ٦٥٩ .

وقد نجح المراغى بالفعل فى استقطاب قوى هامة من شيوخ وطلاب الأزهر الى صف « الملك الصالح »(١) .

أما على ماهـــر فقـــد نجح ــ والى حـــد كبير ــ فى استقطاب الشيخ حسن البنا وجماعة الاخوان المسلمين الى صف القصر ومخططاته . .

وبمناسبة تولية الملك العرش عقد الاخوان المسلمون مؤتمرهم العام الرابع الذى كرس كل وقته لتحية الملك ومبايعته(٢) .

وعندما عارض النحاس اقامة حفل دينى ضمن مراسم توليه الملك ، تدفق جوالة الاخوان المسلمين نحو قصر عابدين فى مظاهرات صاخبة حيث نجحوا فى أن يثبتوا ــ ولأول مرة ــ قدراتهم التنظيمية وامكانياتهم فى حشد تجمعات كبيرة ، وحيث لعبوا ــ ولأول مرة ــ دورهم كقوة موالية للعرش وحامية له(٣) .

ولقـــد كانت علاقة حسن البنـــا بعلى ماهر سببا فى احـــداث انقسام فى صفوف الاخوان المسلمين ، حيث انقسمت مجموعة من الاخوان وسمت نفسها « جمعية شباب سيدنا محمد » وأعلنت هذه الجماعة أســـباب انقسامها فأشارت الى « العلاقة الوثيقة بين على ماهر

---

(١) G.E. Vongrunbaum — Modern Islam — Ibid — pp. 263.

(٢) Richard P. Mitchelle. The Society of the Muslim Brothers. Oxford, (1969) — pp. 14.

(٣) Ibid, pp. 16.

والجماعة ، وما تردد عن تلقى الجماعة — مساعدات مالية كبيرة بواسطة على ماهر ، كذلك انتقدت استخدام على ماهر للاخوان كأداة طيعة فى صراعه ضد الوفد»(١) .

ويشير ريتشارد ميتشل (وهو احد الباحثين الجادين فى تاريخ الاخوان المسلمين) الى أن انقسام « جمعية شباب سيدنا محمد » كان نتيجة لتأثير وفدى « حيث كان بعض الوفديين حتى هذه الفترة لا يجد ثمة تناقض بين وفديته وانتمائه للاخوان المسلمين »(٢) . فلما انحاز حسن البنا الى القصر ضد الوفد انقسمت هذه الجماعة .

ومنذ ذلك الحين ، بدأ الصراع سافرا بين الوفد والاخوان المسلمين الذين اصبحوا اداة فى كل يد معادية للوفد . .

وفى عام ١٩٤٦ ، وفى أوج انتعاش الحركة الوطنية ، استخدمهم اسماعيل صدقى ضد الحركة الوطنية عموما ، وضد الوفد والشيوعيين بشكل خاص .

وفى احد مرافعاته يقول أحمد حسين — متحدثا عن هذه الفترة — ان الاخوان « خاصموا الوفد وخاصمهم ، فبدأت الاحتكاكات بين الطرفين ، وبدأ الصدام على طول الخط ، وكان طبيعيا أن تقف الحكومة الى جوار الاخوان

---

(١) Ibid, pp. 17.
(٢) Ibid, pp. 17.

المسلمين فى كل صدام يقع بينهم وبين الوفد ، بل كانت تحميهم وتشد أزرهم »(١) .

وتحمل لنا صحف هذا العام انباء مصادمات دامية بين الوفديين والاخوان ، خاصة وأن الاخوان قد اتجهوا — مستندين الى دعم الحكومة لهم — الى استخدام العنف ضد خصومهم السياسيين . وفى ٦ يوليو وقع صدام بين الاخوان والوفديين فى مدينة بور سعيد استعمل فيه الاخوان الرصاص والقوا ثلاث قنابل فاسفر الحادث عن قتل واحد من خصومهم واصابة ٣٥ شخصا فتجمع الكثير من الوفديين والأهالى على دار الاخوان وأشعلوا فيها النار هى والنادى الرياضى التابع للاخوان »(٢) .

وحوصر المرشد العام فى احد المساجد فى المدينة ولكنه استطاع الافلات ، وفى اليوم التالى شيعت جنازة المتوفى وقذف المشيعون مركز الاخوان بالحجارة فعمل البوليس على تفريقهم وأطلق عليهم الرصاص واصيب ١٦ شخصا(٣) .

وطوال هذه الفترة كان الاسم الذى تطلقه الصحف الوفدية على زعيم الاخوان هو « الشيخ حسن راسبوتين » .

---

(١) احمد حسين — مرافعه فى قضية اغتيال المرحوم محمود فهمى النقراشى ١٩٤٩ ص ٤٣ .

(٢) المصرى ١٩٤٦/٧/٧ .

(٣) الاهرام ١٩٤٦/٧/٨ .

والحقيقـــة ان الصـــدام بين النحاس والاخـــوان لم يكن مجرد رد فعل لانحياز الاخوان الى القصر ، ولا الى انحيازهم بالتالى لحكومات الاقليه ، وانمــا كان فى الاسـاس بســـبب رفض النحاس (كمفكر ليبرالى) للاتجاهات المتعصبة للاخوان المسلمين ..

فالاخوان الذين يعلنون انه يتعين حل كل الاحزاب السياسية ، وضرورة ان تســـتمد كل القوانين من الشريعة ، وبضرورة ان تتداخل الحكومة الاسلامية لتوجيه الافراد للســـلوك مسلكا اسلاميا ، والذين طالبوا بالحاق المدارس الابتدائية بالمساجد ، وبان تكون الشريعة هى محور التعليم ..(١) لم يكن امامهم الا ان ينتظروا معارضة صـــارمة من زعيم شعبى ومتقدم الفكر ، دستورى النهج ، ديمقراطى الاتجاه كمصطفى النحاس .

وتأكيدا لهذا الموقف يروى احمد حسين قصة اول لقاء مع النحاس فيقول : « قابلت النحاس باشـــا فاذا به يجابهنى باننى دسيسة ، ثم بدأ يناقشنى فى صحة مبادئى وقال : ان فيها بعض المبادىء الخطرة التى لا أكاد افهمها خذ مثلا « الله » التى وضعتها فى أول شعارك فلست اراها الا شـــعوذة ، لان وضع « الله » فى برنامج سياسى هو شعوذة » (٢) .

---

(١) Albert Hourani — Arabic Thought in the Liberal Age 1798 — 1939 — Oxford (1970) pp. 360.

(نقلا عن : حسن البنا — الرسائل — ص ٨٢) .

(٢) مرافعات الرئيس أحمد حسين فى عهد حكومة الوفد — من كتاب مصر الفتاة — الطبعة الثانية — ص ٤٧

لكننا نخطىء لو تصورنا ان عداء النحاس للاخوان كان يعنى عداء كل الوفديين لهم . ذلك ان هناك قوى فى حزب الوفد (كبار الملاك الزراعيين والجناح اليمينى فى الوفد) كانت تحرص على استخدام الاخوان كأداة فى الصراع الطبقى تستهدف ضرب قوى التقدم ..

يقول ريتشارد ميتشل : كان الجناح الليبرالى فى الوفد يقاوم الاخوان المسلمين باستمرار ويعتبرهم اعداء الداء وخوارج ، اما الجناح اليمينى فى الحزب والذى كان على راسة فى ذلك الحين (١٩٤٢) فؤاد سراج الدين فقد كان يعتبر ان الجماعه تمثل اداه مفيدة ضد الضغوط الاجتماعية المتزايدة خاصة وان الشيوعيين قد ازداد نشاطهم خلال فترة الحرب ، وهكذا فان سراج الدين قد استغل منصبه كوزير للزراعة لتشجيع الاخوان على توسيع نشاطهم فى الريف (١) .

ولعل هذه الملاحظة الذكية تكفى لكى توضح لنا مدى صعوبة الصراع الذى خاضه النحاس والجناح الليبرالى فى الوفد ضد الاخوان وضد يمين الوفد معا .

وعلى ايه حال ، وبرغم هذه المعارك الضارية التى استخدم فيها مصطفى النحاس كل نفوذه الجماهيرى والتى انهالت فيها مطارق الصحافة الوفديه الواسعة الانتشار والتأثير ، فان الاخوان المسلمين قد نجحوا — مستندين الى دعم الاحتلال والقصر واليمين — فى

---

(1) Richard Mitchelle - Ibid, pp. 27.

توســـيع قاعدتهم . والمهم هو « ان حركة الاخوان بوضعها هذا قد نجحت فى امتصاص جزء كبير من حيوية الشعب السياسية ، وابقتها بعيدة عن المشاركة الايجابية فى احداث هذه الفترة(١) .

❊ ❊ ❊

.. « أنت دسيسة » وهناك من دفعك الى هذا العمل ، والا فمن اين تاتى بالمال الذى تصرف منه على الحـــركة ؟ » .

من هو الرجل الذى جابهه مصطفى النحاس — وفى وجهه — بهذه التهم ؟

انه احمد حسين رئيس جماعة مصر الفتاة ، والرجل ارتفع صوت صراخه اعلى من اى سياسى آخر اقتحم ميدان السياسة المناوىء للوفد ..

ويمضى مصـــطفى النحاس فى هجومه على احمـــد حسين — فى أول لقاء لهما — مهددا ومتوعدا : « افعل ما يحلو لك ، فقد أعذر من انذر ، اننى سوف اعتبرك خارجا عن الوحدة ، والأمة لا ترحم الخوارج . فكل من فكر فى أن يخرج علينا فقد هدمناه هـــدما ، والأمة لا ترحم »(٢) .

---

(١) طارق البشرى — الحركة السياسية فى مصر — ١٩٤٥ — ١٩٥٢ — الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٢) — ص ٧٤ .

(٢) مرافعات الرئيس أحمد حسين فى عهد حكومة الوفد — المرجع السابق — ص ٤٧ .

فمن هو أحمد حسين ؟ وكيف بدأ حياته السياسية ؟ وبأية أهداف ؟ تعود القصة الى اغسطس ١٩٢٩ عندما عاد محمد محمود باشا الى القاهرة بعد جولة مفاوضات فى لندن ومعه مشروع معاهدة محمود ــ هندرسون .

وكان محمد محمود يبني كل خطته على تصوره لموقف الوفد من مشروع المعاهدة . فاما ان يعارضه الوفد ، وفى هذه الحالة تسوء العلاقة بين الوفد والانجليز الذين لن يجدوا مناصا من مساندة الحكم غير الدستورى لمحمد محمود (وكان محمد محمود زعيم الأحرار الدستوريين ! وقد عطل الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد) ، وأما أن يوافق عليها الوفد ، وبهذا يضمن محمد محمود شعبية تمكنه من الاستمرار فى الحكم .

أما النحاس فانه ــ كعادته ــ قد فاجأ خصمه من حيث لا يحتسب ، فأعلن انه لن يدلى برأيه فى المشروع « الا تحت قبة البرلمان المنتخب انتخابا صحيحا » . ومضى النحاس قائلا : ان مناقشة المقترحات فى ظل الديكتاتورية « نقمة وفتنة ، وفى ظل الدستور نور ورحمة وعصمة » . ذلك أن النحاس كان يؤكد أنه « لا معنى لتقرير مصير الأمة ، وهى مقهورة فى الداخل ، مهدرة حقوقها وحريتها » .

وهكذا أسقط فى يد محمد محمود ، وكانت ضربة النحاس له ولمشروعه ولأسلوب حكمه قاصمة وعنيفة ، وكان ــ فى عزلته ــ بحاجة ملحة الى اى صوت ليرتفع مؤيدا لمشروع المعاهدة .

وهكذا بدأت خطة ابراز أحمد حسين على مسرح السياسة المصرية .

ويعترف احمد حسين بالقصة تفصيلا . ويؤكد — فى صراحة — أن بعض المتصلين بمحمد محمود باشا قــد عرض عليه أن يعمل لمناصرة المعاهدة ، وأنه لم يتردد فى قبول ذلك »(١) . وألف هو وبعض الشبان ، منهم حافظ محمود جماعة « الشباب الحر أنصار المعاهدة » . ولم تكن هذه الجماعة سوى مجرد تابع لحزب الأحرار الدســتوريين يتحرك فى اطار نفوذه ويستمد العون من ماله ورجاله ، وكانت الجمــاعة لا تكف عن اصـــدار البيانات التى تعلن فيها شكرها « لبطل المعاهدة وزعيم البلاد محمد محمود باشا »(٢) .

وبدأ أحمد حسين فى تنفيـــذ الدور المنوط به ، وهو الهجوم على الوفد وعلى مصطفى النحاس شخصـــيا ، فى مقالات بعنوان « تــكلموا » ، نشرها على صفحات « السياسة » جريدة الأحرار الدستوريين وصف فيها موقف الوفديين من المعـــاهدة بأنه « موقف لا يغبطون عليه ، وليس فيه ما يشرفهم فى كثير أو قليل » . وقال « انهم مســـاكين مضطربون يحسبون أنهم يستطيعون بهـــذا السكوت المزرى أن يهربوا من الواقـــع ، ولكن الواقع يصدمهم الصدمة بعد الصدمة ، فهم لن يفيقوا من وهمهم الا لينزلوا منكبين على وجوههم الى قبرهم السياسى الذى حفروه بأيديهم الجانية »(٣) .

وفى تلك الأحيان كان « أحمد حسين » يسير تماما فى ركاب زعيم حزب « الأعيان » مشيدا بقبضته الحديدية

---

(١) أحمد حسين — ايمانى — الطبعـــة الاولى (١٩٣٦) ص ٦٦

(٢) السياسة — ١٩٢٩/٩/١٥ .

(٣) السياسة — ١٩٢٩/٨/٢٤ .

على عنق البلاد ، ملقيا الخطب فى احتفالات « الأحرار الدستوريين » ، مناشدا محمد محمود باشا أن يقبل زعامة مصر وأن يكون لها « كموسولينى فى ايطاليا » . وفى أحد الاحتفالات وجه أحمد حسين خطابه الى محمد محمود قائلا : « مصر بحاجة الى زعيم . وهذا الزعيم هو أنت ، أنت يابن الصعيد الذى بقى محافظا على استقلاله ستة آلاف عام . واذن فبلسان الشباب الحر ، بلسان مصر الفتاة ، أسألك أن تكون زعيما للشباب فى الوزارة أو خارجها على السواء ، لاتظنن وقد جئت بالمعاهدة ان عملك قد انتهى . لا والله فانه لم يكد يبدأ . فالى العمل اذن والشباب يؤيدك ، ويرفع لواءك »(١) .

لكن محمد محود لم يلبث أن يسقط ، ولم يبق أمام أحمد حسين سوى أن يحاول أن يصبح هو « موسولينى مصر » .

ومن « جماعة الشباب الحر أنصار المعاهدة » الى « مشروع القرش » الذى ثارت أقاويل كثيرة حوله ، الى جماعة مصر الفتاة التى حدد لها اطارا فكريا فاشيا صرفا . وانصرف الى ترديد دعايات المحور والدعوة للتحالف معه نكاية فى الانجليز تحت شعار « عدو عدونا هو صديق لنا »(٢) .

---

(١) السياسة ١٩٢٩/٩/٩ .

(٢) Jean-Pierre Thieck, La Journée du 21 Février 1946 dans l'Histoire du Mouvement National Egyptien Université de Paris VII. pp. 71.

والحقيقة ان أحمــد حسين لم يخف على الاطــلاق اتجاهه الفاشى .. ولم يكن الأمر مجرد اتخاذ فــكرة القمصان الملونة والتأكيد على أنه استوحاها من هتلر وموسولينى(١) وانمــا كان ترديــد كل « الأدبيــات » الفاشستية ومحاولة الباسها « ثوبا » مصريا ..

ففى « المبادىء العشر » يحرض أحمد حسين أتباعه « امتلىء ايمانا بمجدك وقوتك ـــ احتقر كل ما هوأجنبى بكل نفسك وتعصب لقوميتك الى حد الجنون »(٢) .

وبعد رحلة قام بها أحمد حسين الى ايطاليا والمانيا ، يعود ليؤكد على صفحات جريدته مصر الفتاة « اننــا سوف نثبت جدارتنا بالسير ببلادنا فى الطريق الذى سلكه من قبل هتلر وموسولينى »(٣) .

ثم هو يعــود ليؤكد ، فى حديث ادلى به لمراســل جريدة « لا فورو فاشيستا » الايطالية ، ان مبادىء حزبه تتشــابه مع مبــادىء كل من رومــا وبرلين . ويقول : ونحن نرغب فى ان نقلد زعيمكم الدوتشى فيمــا ادخله من الاصلاحات « وقال » ان شــبيبة مصر الفتاة تعتقد ان ـــ الدوتشى هو منشىء قواعد السياسة فى هذا العصر(٤) .

ولقد تميز احمد حسين ، عبر التاريخ الحديث لمصر ، بانه كان السياسى الوحيد الذى تجرأ على رفع عقــيرته

---

(١) أحمد حسين ـــ ايمانى ـــ المرجع السابق . ص ٢١١ .
(٢) الصرخة ـــ ١٩٣٣/١٢/٩ .
(٣) مصر الفتاة ١٩٣٨/٩/٤ .
(٤) مصر الفتاة ١٩٣٨/٨/١ .

بصيحات وحشية مثل « هيا نحطم القيود والأغلال ، أما هؤلاء الذين سيعترضون الطـــريق فالويل لهم ألف مرة ومرة ، والله لنحطمنهم كمايحطم الزجاج الهش،ولنمزقن اشلاءهم ونذريها فى الهواء ، فما نقبل بعد اليوم خلافا فى بديهيات اولها ان الحكم الحاضر بدستوره وبرلمانه لايصلح اساسا لرقى شعب يريد المجد ، وأن ساسة الجيـــل القديم بأجمعهم لم تعد فيهم الروح الوطنية اللازمة لمسايرة آمال الامة .. ان المكائد تكاد ، ولكن هيهات ان تدرك الزاحفين الى الأمام شفقة ، هيهات أن تحسب حيـــاة افراد بل مليون من أبناء هذه الأمة فى جانب أن يحيى الباقون حياة كريمة ، فلتمتلىء الطرقات بالجثث ،وليصل من طلائع الجيش من يصل فليس بشىء أن نغسل غاياتنا بالـــدماء ، وأن نطهـــر ضمير الأمة بحـــريق عظيم من الأجساد ، أجل ليس بشىء مطلقا »(١) .

.. بمثل هذه « الوحشية » كان أحمد حسين يخاطب الناس ، بل ان الأمر قد وصل الى حد تمجيد القتـــل والقتلة ، فهو يتحـــدث بفخر عن الفاشستى كودريانو (رئيس القمصان الخضر فى رومانيا)والذى قبض عليه بعد قتله ثلاثة اشخاص هم محافظ المدينة واحد القادة واحـــد وكلاء الوزارات ويقول : « انه يتوج هامته بأكليل من وضع فيه ثلاث جماجم بشرية »(٢) .

---

(١) مصر الفتاة ١٩٣٨/١٢/٨ .

(٢) مرافعة النيابة العامة فى قضية الجناية رقم ١٤٣ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا المتهم فيها أحمد حسين (وهى القضية المعروفة بقضية حريق القاهرة) ص ١٦ — « نقلا عن مصر الفتاة العددين ٩٥ ، ٩٦ — ديسمبر ١٩٣٨ » .

ثم اكمل احمد حسين « وعيده » بان كون جمـــاعات القمصان الخضر التى اســـتخدمت العنف فى محاولة لارهاب الوفد .. والوفديين ، وكان لابد من مجابهة هذه المحاولة لترويع وارهاب الحركة الوطنية لصالح مخططات المحور . ولعل النحاس قد استلهم القول العربى « وداونى بالتى كانت هى الداء » عندما وافق على فكرة زهير صبرى المحامى ومحمد بلال بانشـــاء القمصان الزرقاء .

وفى ١٠ يناير ١٩٣٦ قام محمد بلال باستعراض على رأس ١٥٠٠ من شباب القمصان الزرقاء فى الشوارع المؤدية الى النادى السعدى . وكانت كلما مرت فرقة بالمشاهدين هتف قائدها « جهادنا » فيردد افراد فرقته « لمصر » فيهتف « شبابنا » فيردون « للملك والوفد » فيهتف « شعارنا » فيقولون « طاعة وجهاد »(١) .

وهكذا دخل الوفد ميدان « العنف السياسى » لاول ولاخر مرة فى تاريخه .. لكن اقدام النحاس على هذه الخطوة احدث ارتباكا خطيرا فى صفوف خصومه ، ذلك ان ادخال هذا الاسلوب الشبه عسكرى فى صفوف حزب هائل كالوفد يمثل تحولا خطيرا فى موازين القوى ، ويهدد بتحويل الوفد بجمـــاهيره الغفير الى قوه هائله حسنة التنظيم والتسليح ، ولعل هذا هو السبب فى أن القصر واعوان المحور قد نفضوا ايديهم من لعبة « القمصان الخضراء » مقابل ان يكف الوفد عن لعبة « القمصان الزرقاء » .

---

(١) كوكب الشرق ١٩٣٦/١/١١ .

وكان السير مايلز لا مبسون ممن فزعوا اشد الفزع من هذه الخطوة ، فكتب فى تقريره السنوى عن موقفة تجاهها :

فقره ٢٠٦ : اتخذ مؤتمر الشباب الوفدى قرارا فى ٩ يناير بتأسيس منظمة للشبيبة على النهج الفاشستى ، وقد ايد الوفد هـــذا الاتجاه بعد ان وجـــد ان أحزاب الأقليات قد بدأت فى تجنيد عديد من الطلاب فى تنظيمات فاشستية بهدف حشدهم فى ـــ حركة مناهضه للوفد .

فقرة ٢٠٨ : تأسست لجنة من حزب الوفد لتنظيم وتدريب فرق القمصان الزرقاء الذين وصلتنا تقارير تفيد ان عددهم قد بلغ فى يوليو ١٠,٠٠٠ شخص . واختير النحاس رئيسا للحركة .

فقـــرة ٢٠٩ : وفى يوليـــو قام القائد العـــام للقوات البريطانية فى مصر بتحذير مكرم عبيد من السماح لهـــذه الحـــركة بالنمو دون رقابة . ورد الأخـــير عليـــه بأن تعليمات قد صدرت لقادة القمصان الزرقاء بان يوجهوا نشاطهم نحو المسالك القانونية فقط . واشار مكرم الى ان الحزب حريص على الا يتولى احد السياسيين أى منصب قيادى فى القمصان الزرقاء . لكن هذه التأكيدات لم تنجح فى أن تمحو أو حتى تقلل من خوف المسئولين المصريين من تطور هذه الحركة(١) .

---

(١) لتقرير السنوى عن عام ١٩٣٦ من السير مايلز لامبسون الى مستر ايدن وثيقه مودعه بالمتحف البريطانى مكتوب فى صدر صفحتها الاولى (هذه الوثيقة ملك لحكومة صاحب الجلالة ، اعدت كى تستخدم فقط فى وزارة الخارجية ، ملف رقم ٣٧١ ـــ ٢٠٩١٩ ـــ سرى ـــ ١٥٢١٧ ـــ أرشيف رقم ٨ (ل. ٣٥٢٢ ـــ ٣٥٣٢ ـــ ١٦) استلم فى ١٩ اغسطس تحت رقم ٩٠٦ .

على ان الصراع بين النحاس ومصر الفتاه واتجاهاتها الفاشية قد اتخذ مسالك اكثر عنفا من ذلك . .

ففي يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٣٧ اطلق عز الدين عبد القادر اربع رصاصات على سيارة مصطفى النحاس ، واعترف لدى القبض عليه بانه عضو فى جمعية مصر الفتاه ، وانه ارتكب جريمته لأنه قرأ المعاهدة ولم تعجبه(١) .

كذلك اكد احمد حسين ان هدفه الاول والوحيد هو القضاء على زعامة النحاس . . « تلخصت العقبة التى تعترض سير الايمان الجديد فى الوفد . فهذه الزعامة المقدسة التي فرضها النحاس باشا على الامة وهذه الرغبة فى القضاء على الروح الجديدة التى نبعت من مصر الفتاه . . كل ذلك ادى بنا الى اعتبـــار الوفد خصمنا الاول . وضرورة العمل على صراعة والتغلب عليه واراحة البلاد من كابوسه »(٢) .

ومن ناحية أخرى ، فان النحاس قد اشهر هجومه العنيف على احمد حسين . ولم يكتف بتصدى رجاله « القمصان الزرقاء » لفرق أحمد حسين ، ولا بهجمات مركزه من الصحافة الوفدية على أحمد حسين وحزبه وانما أعلن رسميا وبصفته رئيسا للوزراء وأمام البرلمان اتهامه لأحمد حسين وحزبه بالعمالة لدولة أجنبية .

وقد جاءت هذه الطلقة العنيفة من مصطفى النحاس بمناسبة استجواب تقدم به النائب هارون ابو سحلي

---

(١) البلاغ ١٩٣٧/١١/٢٩ .
(٢) احمد حسين « من أجل الله ومن اجل الملك » مقال بمصر الفتاة ١٩٣٩/٦/٢٢ .

لرئيس الوزراء عن أسباب مقــاومة الحكومة لســفر بعض اعضاء مصر الفتاه فى رحلة الى الصعيد بالقميص الاخضر وجاء الرد الصاعق ، من مصطفى النحاس ، فى صورة بيان رسمى قال فيه « ثبت لوزارة الداخلية ان جمعية مصر الفتاه تعمل لحساب دولة اجنبية ضد مصلحة البلاد . ولذلك قررت الوزارة ، حرصا على مصلحة الدولة ان تمنع تجوال اعضاء هذه الجمعية فى القرى بزى خاص .... وان هذه الجمعية التى تنطوى اغراضها وعلاقاتها على ما يضر بمصلحة الدولة الكبرى ، لا يصح مقارنتها بجماعة الشبان الذين يرتدون القمصــان الزرقاء والذين تقوم مبادئهم على احترام النظام والقانون والعمل لخير البلاد ، وينتمون لهيئة سياسية مسئولة »(١) .

وقد اثار هذا الاتهام اضطرابا شـديدا فى صفوف حلفاء مصر الفتاه ومحركيها . وطالب بعضهم بايداع ادلة الاتهام لدى المجلس .. لكن النحاس يرفض ، بل ويصعد الامر الى درجه تحدى الخصوم بطرح الثقة بحكومته . فهو يرد بعنف قائلا : « الوزارة متثبتة مما تقدم اليها من الادلة .. وان هذه المسائل تتعلق بسياسة الدولة العامة ، وهى من اسرار الدولة ، ولا يمكن ان تتقدم بها ولن تتقدم ، لان اسرار الدولة فوق كل اعتبار والوزارة مسئوله امامكم ، فاما ان تعطوها ثقتكم ، واما أن تسحبوا منها هذه الثقة والرأى الأخير لكم » .

---

(١) مجلس النواب — الهيئة النيابية السادســة — مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الاول — المجلد (١٩٣٦) مضبطه ١٩٣٦/٦/٢٢ ص ٩٦ .

وهكذا ظل الاتهـــام معلقا على راس احمد حسين وجماعته .. بينما راحت الصحف الوفدية تلمح الى ان الدولة المعنية هى ايطاليا(١) .

ثم يعود الأمر ليتفجر من جـديد ، عنـدما يقال النحاس فاذا به يتقدم على الفور ببلاغ الى النائب العام يطالبه فيه بالتحقيق مع احمد حسين قائلا : انه حينما كان وزيرا للداخلية ورئيسا للحكومة اطلع على تقارير رســمية واوراق مختلفة تظهران جمعية مصر الفتاه كانت تتلقى اعانات مالية فى اوقات مختلفه من على ماهر باشا ومحمد محمود باشا ـ واسماعيل صدقى باشا وبهى الدين بركات باشا ومحمد على علوبه باشا والنبيل عباس حليم وعبد الخالق مدكور باشـــا وغيرهم ممن وردت اسماؤهم فى التقارير والاوراق المذكوره . هذا فضلا عما جاء فى هذه التقارير من صلة هذه الجمعية بمصادر أجنبية وانتهى النحاس بأن طلب التحقيق مع جميع من ورد اسمهم فى البلاغ(٢) .

والحقيقة ان تغاضى النائب العام عن التحقيق فى هذا البلاغ لا يقلل على الاطلاق من جدية التهم التى وجهها رجل مسئول مثل مصطفى النحاس ، بل لعل هذا التغاضى هو فى حد ذاته دليل ادانة ليس فقط ضد احمد حسين وانما ايضا ضد هؤلاء الذين تعمدوا حمايته والتستر عليه .



---

(١) آخر ساعة — ١٩٣٦/٧/١٩ .
(٢) المقطم — ١٩٣٨/١/٢٤ .

ولكى ندرك الأبعاد الحقيقية للمعركة التى خاضها مصطفى النحاس ضد التيارات ــ الفاشيه وضد عملاء المحور يتعين علينا ان ندرك ان القصر كان ضالعا وحتى قمة راسة فى هذه المؤامرات ..

ولقد كشفت وثائق عديدة ، فيما بعد ، كيف ان الملك قد حاول اكثر من مرة الاتصال بالايطاليين والالمان محاولا اقامة معابر معهم ضمانا لعرشه لدى احتلالهم لمصر ..

وفى يوم ٢٣ فبراير ١٩٣٩ ، كتب الكونت شيانو وزير خارجية ايطاليا فى مذكراته يقول ان نبأ مثيرا قد وصله عن مقابلة تمت بين مراد سيد احمد باشا وزير مصر المفوض فى برلين والسفير الايطالى هنالك « أتوكيلو » استفسر فيها الوزير المصرى باسم مليكه « الذى يناصب الانجليز العداء عما اذا كان المحور سيقف الى جواره ويسانده اذا ما أعلنت مصر حيادها وترتب على ذلك تدخل مباشر او غير مباشر من جانب بريطانيا العظمى »(١) .

وتؤكد المخابرات البريطانية انها قد حصلت بعد الحرب ، على وثائق المانية تفيد أن على ماهر باشا رجل القصر المفضل فى ذلك الحين ، واستاذ عملية التقارب مع المحور ، ومخطط الهجوم على الوفد

---

(1) The Ciano Diries — 1943 — Doubleday and Company — New York (1946) pp. 32.

ومصطفى النحاس « كان يحصل على مبالغ مالية من المانيا الهتلرية عن طريق بنك درسدنر »(١) .

هكذا يمكننا أن نفهم ابعاد الصراع .. والقوى الحقيقية التى تحالفت ضد الوفد ، ومدى خطورة وصعوبة المعركة التى صمم النحاس على خوضها دحرا للفكر الفاشى ورفضا للتقارب مع المحور ، وافسادا لمخططات القصر وعملائه .

وهكذا أيضا نستطيع تفهم البعد الحقيقى لاحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

٤ — ٤ فبراير .. بداية أم نهاية ؟

لقد كتب الكثير عن حادث ٤ فبراير ، لكن الأبحاث التاريخية قد تركزت — فى اعتقادنا — فى اتجاه خاطىء .. كيف وقع الحادث ؟ وماذا كان موقف النحاس منه ؟ وحرص المؤرخون الوطنيون والتقدميون على محاولة « تبرئة » النحاس من علمه بالحادث وبتدبير الانجليز له ..

وقد نسى هؤلاء أنه كان هناك سعى من خلال أمين عثمان ، وقبل ٤ فبراير ١٩٤٢ بأربع سنوات ، لحث الانجليز على « الوصول بالأمور الى نهايتها المريرة

---

(١) G. Kirk — The Middle East in the War 1939 - 1945. London (1953) pp. 34.

مع الملك » .. وان الخطة قد تعطلت نظـــرا لرفض النحاس لشروط الانجليز والمتعلقة بتشكيل الوزارة .

ونسوا أيضا أن النحاس قد أعلن فى أبريل ١٩٤٠ ، وما بعدها ، أن خلافه مع الانجليز ينصب أساسا على تأييدهم للانقلاب الدستورى .

ونسوا أخيرا ، ان السير مايلز لامبسون (اللورد كيلرن) صاحب الحادث ومخططه ، قد أكد فى مذكراته التى نشرت أخيرا علم النحاس بالحادث قبل وقوعه وموافقته عليه[1] .

لكن القضية الأساسية التى تتعين دراستها هى لماذا قبل النحاس الاشتراك فى مخطط كهذا .. ؟

وما هو وجه الاغراء لزعيم كالنحاس فى أن يقحم نفســـه ، وبهـــذه الصـــورة ، ليتـــولى منصب رئيس وزراء بلد توشك جحـــافل الغـــزاة الفاشست على اجتياحه .. بلد يقف عاجزا امام غزاة قادمين وغزاة مقيمين ، وتخيم عليه ، فى ذلك الحين ، أزمة اقتصادية طاحنة . وكان النحاس نفسه يردد : « ما الذى أستطيع أن أعمله والبلد جعانة ؟ »[2] .

الصفقة لم تكن ، اذن ، مغرية ولا هى بالرابحة . والزعيم الجماهيرى مطالب بأن يسير اليها على حراب الانجليز أعداء الوطن .

(١) The Killearn Diaries — 1934 — 1946 — Edited by Trefor Evans — Sidgwick & Jackson — London (1972).

(٢) لطفى عثمان ــ المحاكمة الكبرى فى الاغتيالات السياسية ــ دار النيل للطباعة (١٩٤٨) ص ٤٣ . (شهادة مصطفى النحاس) .

وقد فعلها النحاس الرجل الذكى ، الصافى الذهن ، الذى يتميز عن غيره من زعماء عصره باحساسه العميق والمرهف بنبض الجماهير ومشاعرها .

فعلها النحاس ، وظل يتحمل مسئوليتها أمام جماهير شعبه . وتحمل بسببها طعنات من خونة ظلوا طوال حياتهم خداما للانجليز . وسيظل ، وعلى مدى التاريخ، يحاسب عليها .

والسؤال هو : لماذا ؟

وثمة جواب وحيد مقنع : لهذه الأسباب بالذات قبل النحاس ٤ فبراير . لأن الألمان على الأبواب ، ولأن القصر يناور مع الغزاة الجدد ، ولأن الفاشست كانوا قد كونوا بالفعل حكومة ظل لتتولى الحكم فور وصول الألمان ، ولأن عملاء القصر تظاهروا بايعاز من المراغى هاتفين « الى الأمام يا روميل »(١) .

ولأن الأزمة الاقتصادية مستحكمة ، والناس لا تجد الخبز . لذلك كله ، قبل النحاس ٤ فبراير كمخرج يضمن سلامة مصر . لكنه مخرج الزعيم الوطنى الذى لا يثق فى حركة الجموع ، ولا يعتمد عليها ، ولا يقدر حقيقية الطاقات التى يمكن أن تفجرها ، فلم يجد سوى المثل العربى القديم « وداونى بالتى كانت هى الداء » .

---

(١) نشرت أخبار اليوم ، فيما بعد ، ان الذى هتف بهذا هو عبد السلام وما افندى عامل المصعد بالقصر العينى . وأومات الى انه بعد هذا الحادث أتيحت له فرصة العمل كصحفى .

ولقد كان لحادث ٤ فبراير ذيول عدة اخطرها إنقسام مكرم عبيد عن الوفد ، الامر الذى احدث رجة حقيقية فى صفوف الوفديين . وليس من تفسير لهذا الانقسام الا أن القصر الذى ارتج عليه الأمر نتيجة لحادث ٤ فبراير ولاستناد الوفد بجبروته الشعبى الى الاحتلال بجبروته العسكرى لم يجد بدا أن يلعب آخر أوراقه ، وكان استخدام الوقيعة بين مكرم وسراج الدين . والعمل على توسيع هذا الخرق حتى تم الانقسام ، ومن ذيول انقسام مكرم « الكتاب الأسود » وتلك الحملات المنظمة الواسعة النطاق ضد المحسوبيات والرشاوى واستغلال النفوذ الذى تفشى فى عهد الحكومة الوفدية ، والذى امتد ليشمل دوائر لصيقة بالنحاس باشا أو بالدقة زوجته وأسرتها والمحيطين بهما .

ولم يكن الفساد غريبا على مصر فى ذلك الحين .. ولا حتى كان غريبا على الحكومات الوفدية ، لكن وجه الغرابة جاء من ملاصقته للزعيم الذى اشتهر بالتعفف والبساطة ، وجاء أيضا من تفشيه واتساع نطاقه ، وتغاضى الزعيم عنه بحجة أن الوفديين قد اضطهدوا فى العهود السابقة فلا بأس من أن ينالوا بعض حقهم فى عهد حكومتهم .. لكن النتيجة كانت أن خصوم الوفد امسكوا بأدلة دامغة شهروا بها على النحاس وأسرته وحزبه ايما تشهير .

٥ ــ النحاس واليسار ..

وهذه العلاقة تستحق دراسة متأنية . فالنحاس الذى اتهمته الصحف الانجليزية يوم توليه رئاسة الحزب بأنه زعيم الجناح اليسارى فى الحزب .. والذى

اتهمه المنشقون عليه فى عام ١٩٣٧ « بالبلشفية » .. وقد ردد هذا القول صراحة احمد ماهر امام الهيئـــــة الوفدية متهما النحاس بأنه قد أغدق النعم على العمال حتى أبطرهم وجراهم على الاخلال بالنظام والتحكم فى رؤسائهم وتوجيههم للاعتداء على خصوم الحكومة . واعتبر أحمد ماهر قرار النحاس بنقل وكيل المطبعــــة الأميرية استجابة لرغبة العمال « عملا شبيها بأعمال البلشفية »(١) .

والنحاس الذى اتهمت « أخبار اليوم » فى عام ١٩٤٧ احد رجاله المقربين ، وهو الدكتور محمد مندور رئيس تحرير الوفد المصرى ، بأنه كان واسطة « بين حزب الوفد والكومنترن » وأنه اسهم فى تحرير ميثاق بين الوفد والدولية الثالثة »(٢) .

والذى لفقت ضده عدة وثائق تتهمه بالتخابر مـــع كيكتييف مستشار السفارة السوفيتية ، ثم اتضح تزييف هذه الوثائق وضلوع بعض أقطاب حزب الأحـــرار الدسوريين فى ترويجها(٣) .

هذا الرجل الذى منح الوفد مسحة من التقدميـــة فى افكاره والذى دفـــع المؤتمـــرات الوفدية الى تبنى اتجاهات اضلاحية وتقدمية ، والذى اصدر فى عام ١٩٤٢

---

(١) المصرى ١٩٣٧/١٢/٢٥ .
(٢) أخبار اليوم ١٩٤٦/٧/١٣ .
(٣) الاهرام — ١٩٥١/٦/٧ (وقد تورط فى ترويج هده الوثائق المزيفة اثنان من اقطاب الاحرار الدستوريين هما محمد على علوبة باشا وحسن باشا عبد الوهاب) .

القانون ٨٥ الخاص بالنقابات العمالية ، والذى قدمت لجنة العمال والشئون الاجتماعية بمجلس النواب الذى كان الوفد يسيطر عليه بأغلبية كاسحة تقريرا حول مشروع هذا القانون جاء فيه : « لقى فريق من أصحاب الأعمال من صناع وتجار — ممن نصبوا أنفسهم للكسب والثراء ، وجعلوه قبلتهم وغايتهم من كثرة الاجراء وعظيم تزاحمهم ، فرصة للسيطرة عليهم والتحكم فيهم . فقدروا أجورهم بما شاءوا وحددوا لهم ساعات عملهم .. وكان طبيعيا بعد ذلك أن يشعر العمال بأن أصحاب العمل انما يسخرونهم فى خدمتهم ويستنزفون قوتهم لاقامة ثرواتهم والاستزادة من أرباحهم »(١) .

هذا الرجل هو نفسه الذى عزز مواقع أكبار الملاك العقاريين فى حزب الوفد .. ففى ٢ ديسمبر ١٩٣٢ ضم النحاس الى قيادة حزب الوفد اثنى عشر عضوا جديدا كان منهم ثمانية من كبار الملاك الزراعيين(٢) .

وهو الذى شكل وزارته فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وهى تضم ٦٣ر٧ فى المائة من زورائها من كبار الملاك الزراعيين ، ثم أعاد تشكيلها فى ٢٦ مايو ١٩٤٢ لتضم ٦٤ر٢ فى المائة من وزرائها من كبار الملاك الزراعيين(٣) .

---

(١) عبد المنعم الغزالى — تاريخ الحركة النقابية المصرية — دار الثقافة الجديدة (١٩٦٨) — ص ٢٠٢ .

(٢) المقطم ١٩٣٢/١٢/٣ .

(٣) د. عاصم الدسوقى — كبار ملاك الاراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى (رسالة دكتوراه غير منشورة) .

هكذا يمكننا أن نفهم الطبيعة المعقدة والمتشابكة لمنهج النحاس ولأسلوبه الفكرى . ولموقفه الاجتماعى .

لكننا ، فيما يخص اليسار ، لا يمكننا أن ننسى أن النحاس هو الذى منح يسار حزب الوفد متنفسا . وهو الذى سمح بتكوين « الطليعة الوفدية » والتى تكونت كامتداد لنضال الطلاب الوفديين ولقائهم مع القوى التقدمية داخل حزب الوفد .. وقد أصدرت الطليعة الوفدية مجلة رابطة الشباب وأنشأت لجنة القاهرة للتأليف والنشر ، التى أصدرت عددا من الكتب التقدمية ، ولعب كوادرها دورا هاما فى تحرير جريدة الوفد المصرى .

وقد حدد مصطفى موسى أهداف مجلة « رابطة الشباب » التى كان يدير سياستها فى افتتاحية عددها الأول :

« قارئنا العزيز .. اليك صفحة لم تقصد من الصحافة خضابا والوانا ، ولم تقصد من الرواج كسبا واثراء . هى صفحة الأحرار للأحرار . . أحرار يكافحون الاستعباد ، استعمارا كان أم استبدادا »(١) .

ومع تصاعد دور « الطليعة الوفدية » ، فى تحرير جريدة « الوفد المصرى » ، تغير طابعها لتصبح بالفعل جريدة ذات اتجاه وطنى وتقدمى . وانتهى الأمر بأن أصدر اسماعيل صدقى قرارا بتعطيلها ، فأصدر

---

(١) رابطة الشباب ١٩٤٧/٣/٢٠ .

صاحب امتيازها « حامد طلبه صقر » جريدة جـديدة باسم « صوت الأمة » حددت أهدافها فى صدر صفحتها الأولى كما يلى :

اهدافنا : الديموقراطية السياسية ، العـدالة الاجتماعية ، استقلال وادى النيل .

وقد نهجت هذه الجريدة نهجا متقدما واضحا ، عندما خصصت بابا ثانيا تفضح فيه ثروات وملكيات قادة الأحزاب المعارضة تحت عنوان :

« باشواتنا الرأسماليين »(١) .

كذلك تصدت « الطليعة الوفدية » للدفاع عن حريات الشعب وفى ظلام الاحكام العرفية فى عام ١٩٤٩ يكتب مصطفى موسى « هل يوجد مصرى يدافع عن بقـاء الأحكام العرفية . لن تجد ، وان وجدته فاعلم أنه كائن مطعون فى آدميته ، فالذى يطلب أن تغل يداه أو يكمم فوه أو يلغى فكره الحـر هـو كائن تنقصـه خواص البشر »(٢) .

وقد لعبت « الطليعة الوفدية » دورا بارزا يستحق التقدير عندما جابهت محاولة فؤاد سراج الدين سكرتير عام الحزب ووزير داخلية الوزارة الوفدية الأخيرة لتمرير

---

(١) من تقرير (مخطوط) لسيد البكار احد قادة الطليعة الوفدية .
(٢) المصرى — ١٩٤٩/١١/٧ .

التشريعات المقيدة لحرية الصحافة وقد حشدت « الطليعة الوفدية » جهودا جبارة انتهت بأن خذلت الهيئة الوفدية » سراج الدين واجبرته على سحب هذه التشريعات وعدم تقديمها للبرلمان »(١) .

على اننا لا يمكننا ان ندرك مدى عمق وجدية « الاتجاه يسارا » لدى تيار متكامل من حزب الوفد بغير الاطلاع على الكثير من المجلات والصحف الوفدية التى كانت تعتبر فى ذلك الحين منابر تقدمية بالفعل ، والتى كان لابد لها قبل أن تنعطف مثل هذا الانعطاف الهام من أن تحصل على اشارة ضوء أخضر من « الزعيم » الذى كان يولى اهتماما خاصا لصحافة الحزب .. ان نظرة على مجلة « رابطة الشباب » و « البعث » وحتى « صوت الأمة » اللسان الرسمى اليومى لحزب الوفد تكفى لاعطاء انطباع جدى بعمق التحول الفكرى لدى القائمين على تحرير هذه الصحف .

ولنأخذ نموذجا واحدا من جريدة « صوت الأمة » الصادرة فى ١٢ يناير ١٩٤٧ ، فهى قد خصصت كامل صفحتها الأولى ومعظم صفحتيها الرابعة والخامسة للتعليق على حملة صدقى ضد الشيوعيين والتقدميين فى يونيو ١٩٤٦ . وكان مانشيت الجريدة « أسرار وخفايا قضية الشيوعية الكبرى — قصص لم سبق لها مثيل فى التاريخ » . وقد اتهمت الجريدة اسماعيل

---

(١) سيد البكار — المرجع السابق .

صدقى بأنه قد دبر حملة صليبية وهتلرية ضـــد كل القوى الوطنية والتقدمية . واتهمت صدقى بأنه انمـــا يخدم مصالح الانجليز بحملته هذه . وقالت ان كل وطنى يشتم من هذه الحملة « رائحـــة الخيـــانة » والاستعمار والديكتاتورية .

ووصفت « صوت الأمة » المقبوض عليهم بانهم «صفوة من شباب مصر المثقف وكتابهـــا المعروفين . يلعب الكثيرون منهم دورا ملحوظا فى حياة مصر الثقافيـــة والوطنيـــة » .

وتحدثت الصحيفة عن الأكاذيب التى وجهها اسماعيل صدقى أمام مجلس الشيوخ متهما المقبـــوض عليهم « بالاتصال بدولة أجنبية » فقالت : « وقد جاء التحقيق الذى أجرته النيابة فكان قاطعا بأن كل ما أدلى به صدقى باشا فى بيانه من اتهامات لا أساس لها من الوجود ، حتى ولا شبهة الوجود ، بل ان كل ما قاله كان من أوهام خياله المريض وتلفيقـــا فى تلفيق ، وأكثر من ذلك كانت الحقائق التى أسفر عنها التحقيق تكذب كل ما قاله صدقى باشا وتقف معه على طرف نقيض » .

وتمضى الجريدة قائلة : « ولئن نفهم ان تكذب اخبـــار اليوم » وتلفق ، وهى صحيفة غير مسئولة ومعـــروفة بحقارتها ، فلم يـــكن يصح من صدقى باشا المفـــروض أنه رجل رسمى مسئول لأنه رئيس وزارة أن يقف فى أكبر مجلس نيابى فى وطننا هو مجلس الشيوخ فيتهم مواطنين أبرياء وهم فى يد القضاء بتهم لا أساس لها من الصحة .

بل ويتهم دولة كبيرة ، وهى الاتحاد السوفيتى ، بالتدخل فى شئون مصر الداخلية »(١) .

وبغير تعليق او اضافة يكفينا أن نقرر انه ما كان من الممكن لصحافة حزب الوفد ولرجاله أن يتخذوا مواقف كهذه بغير رضاء وموافقة زعيم الحزب .

٦ ـ نحاس .. ما بعد الحرب العالمية الثانية

ومنذ بدايات الحرب العالمية الثانية ، أدرك النحاس بوعيه السياسى متغيرات عصره .. وأدرك حقيقة الدور الذى سوف يلعبه الاتحاد السوفيتى على مسرح الأحداث الدولية خاصة بعد انتهاء الحرب .

ولم تكن مصادفة أن وزارة النحاس هى الوزارة التى اعترفت ، ولأول مرة ، بالاتحاد السوفيتى ، وأقامت معه علاقات دبلوماسية .

والحقيقة ، أن الوفد قد أحس بضرورة اقامة العلاقات منذ وقت مبكر . ففى بداية عام ١٩٣٩ قدم أحد أعضاء مجلس الشيوخ الوفديين (عزيز ميرهم) استجوابا للحكومة .. عن أسباب تباطؤ وزارة الخارجية فى الاعتراف بحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الممثلة لشعب أصبح اليوم من اقوى الشعوب

(١) صوت الامة ١٩٤٧/١/١٢ .

وأرقاها ، وتطمع الدول الكبرى — ومنها المتحالفة معنا — فى خطب وده والتعاقد معه(١) .

واذا كانت حكومة النحاس قد تقدمت فى عام ١٩٤٣ بشروط عدة للاعتراف بالحكومة السوفيتية من بينها : « تعهد الحكومة السوفيتية بعدم التدخل فى الشئون الداخلية لمصر ، وبالامتناع عن القيام بأية دعاية فى البلاد المصرية »(٢) ، فان هذا الموقف — الذى رفضته الحكومة السوفيتيه بشدة — كان يعبر عن المخاوفة المتراكمة لدى الجهاز المصرى — الحاكم ، كذلك ، فانه مع اصرار الحكومة السوفيتية على عدم تقديم مثل هذا التعهد تراجعت الحكومة الوفدية عن شروطها هذه ، وأقامت العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى(٣) .

والحقيقة اهتمام النحاس باشا وحزبه بحركات التحرر الوطنى على نطاق العالم ، وبقضايا النضال المشترك ضد الاستعمار ، كان مبكرا بصورة ملفتة للنظر ، وتستحق الاعجاب بالفعل . .

وخلال حرب الحبشة هاجم النحاس العدوان الايطالى هجوما شديدا اكسبه عداء « المحور » وكل القوى الموالية فى مصر .

---

(١) مجلس الشيوخ — مضبطة جلسة ١٩٣٩/٣/٢٨ .
(٢) محفوظات رئاسة مجلس الوزراء دوسيه ٦٤ — ٢/٢/ — مذكرة سرية مرفوعة من وزير الخارجية لمجلس الوزراء .
(٣) لمزيد من التفاصيل — راجع د. فؤاد المرسى خاطر — العلاقات المصرية السوفيتية (رسالة دكتوراه غير منشورة) ص ٥٤ .

وفى نهاية الثلاثينات ، قبل النحاس ان يتولى عدد من اليساريين المصريين القيام بترتيب لقاء بينه وبين الزعيم الهندى جواهر لال نهرو لبحث وسائل مقاومة الاستعمار البريطانى .. وكان كريشنا مينون واتحاد انصاو السلام بمصرهما اللذان قاما باعداد الترتيبات لهذا اللقاء .

ولقد كانت صحف الوفد زاخرة بالتأييد والمساندة لثوار أندونيسيا والصين وكينيا وكل شعب يناضل من أجل حريته ..

كذلك ادرك النحاس وفى وقت مبكر اهمية الوحدة العربية ، وكان أول من وضع اللبنات الحقيقية لتأسيس جامعة الدول العربية بتوقيع بروتوكول الأسكندرية ، كذلك كانت مساندة النحاس والوفد للقضية الفلسطينية مساندة واعية وحاسمة وبغير حدود .

ولقد كان ادراك النحاس لمتغيرات العصر دقيقا وتقدميا ، بمعنى : انه قد حرص على مقاومة كل مظاهر الاستعمار الجديد ، وقاوم سياسة الأحلاف العسكرية ، ولعل موقفه الحازم من هذه الأحلاف هو الذى أبقى مصر بمنجاة منها ، ومن ثم فشل كل مخططات الاستعمار الأمريكى فى اقامة حلف عسكرى لمنطقة الشرق الأوسط .

كذلك ، صمم النحاس خلال فترة الحرب الكورية على ضرورة انتهاج مصر لموقف الحياد . وكان الحياد يعنى فى ذلك الحين منع استخدام أراضى مصر كقواعد أو معابر للقوات الاستعمارية المحاربة فى كوريا .

ولعل من حق النحاس علينا أن نقرر له هنا ، انه كان من أوائل الساسة المصريين الذين فكروا فى اقامة كتلة لدول عدم الانحياز . ففى خطاب له ، عقب عودته من رحلة الى أوربا فى سبتمبر ١٩٥٠ ، قال : « ولقد قلت ، وكررت القول — وخاصة فى أثناء رحلتى — قلت لممثلى الدول الصغيرة : ان فى وسع هذه الدول أن تؤلف كتلة « وسطى » تتبنى السلام ، وتدافع عنه ، وتعمل على اقرار كلمته ، وبسط سلطانه على العالم ، بشرط أن تتذرع هذه الدول بالتضامن والتعاون والشجاعة فيما بينها على تحقيق ما تهدف اليه البشرية جمعاء »(١) .

وهكذا نرى أن « حياد » مصطفى النحاس هو « حياد ايجابى » بمعنى أنه ليس مجرد موقف انسانى، وانما يستهدف فى الأساس تصفية الاستعمار تصفية كاملة . . وعندما يوجه مراسل « الديلى ميل » البريطانية فى يونيو ١٩٥٠ سؤالا الى النحاس عن رأى الحكومة المصرية فى الوحدة الأفريقية ، يجيب النحاس قائلا : أنه يوافق تماما على قيام وحدة أفريقية بشرط مزدوج هو « تحقيق الحرية الكاملة ، وكفالة الاستقلال التام لشعوب القارة الأفريقية ، وهو شرط أساسى لابد من قيامه وتوافره قبل الاتجاه الى أى مسعى نحو عقد اتفاقية تشمل القارة الأفريقية كلها »(٢) .

و « نحاس » ما بعد الحرب العالمية الثانية هو « نحاس » النضال المتصاعد ضد الاستعمار الذى سمح

---

(١) الاهرام — ١٩٥٠/٩/٣٠ .
(٢) الاهرام ١٩٥٠/٦/٣٠ .

لشباب حزبه بالاشتراك النشيط فى « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » عام ١٩٤٦ ، والذى تصاعد بنضال حزبه ضد الاستعمار ، والاستعمار الجديد ، ولسراى ، ومن أجل الحرية والديمقراطية والعدل الاجتماعى ..

وهو الذى اتاح الفرص أمام « يسار » حزب الوفد كى ينمو ويقوى بحيث يصبح قوة ضاغطة وفاعلة وقادرة على العمل علنا لاحباط مخططات « يمين الحزب » .

وهو فوق هذا كله بطل معركة الغاء المعاهدة ، ذلك الالغاء الذى اتخذ طابعا حماسيا ، وهيأ المناخ لتحرك جماهيرى لم تشهد له مصر مثيلا من قبل .

ولقد كان الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، بهذه الصورة ، خطوة شجاعة ــ بغير شك ــ خاصة بما صاحبها من تحركات شعبية اتخذت طابع الحماس والنضال المناهض للانجليز .

ولقد فوجىء الانجليز بذلك التصاعد الشديد فى موقف الوزارة ضدهم . فقد توقعوا أن يكون الغاء المعاهدة « شكليا » أو قانونيا وليس بهذه الصورة التى حركت مشاعر كل مصر ضدهم .

ولقد الغى النحاس المعاهدة وهو يتوقع أن الملك سوف يصدر قرار اقالته . لكن الملك الذى حوصر تماما لم يكن أمامه أى خيار(١) .

---

(١) احمد حمروش ــ قصة ثورة ٢٣ يوليو ــ الجزء الاول ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ــ ص ١٥٥ .

وبعد خمسة ايام من الغاء المعاهدة ، تقدم سفراء انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا يطلبون مقابلة مشتركة مع وزير الخارجية . ولكن الوزير حدد لهم مواعيد متتالية قدموا له فيها مذكرة واحدة تطالب بتغيير الغاء المعاهدة بعقد اتفاقية دفاع مشترك . ولكن مجلس الوزراء قرر رفض المذكرة واعلن ذلك فؤاد سراج الدين فى اليوم التالى مباشرة امام مجلس النواب.

ثم ما لبثت الوزارة ان تصاعدت بموقفها ضد الاحتلال البريطانى ، ولعلها المرة الأولى ، فى تاريخ مصر الحديث ، الذى تجرؤ فيها احدى الحكومات على خوض معركة سافرة ضد الاحتلال البريطانى .

فقد اصدرت الحكومة تشريعا بسجن كل عامل مصرى يعمل فى القاعدة البريطانية ، الأمر الذى سحب من القاعدة حوالى ٥٠٫٠٠٠ عامل وجعلها غير ذات قيمة ، وامتنع العمال عن تفريغ السفن البريطانية . وفى ايام قليلة تجمعت حوالى ٢٠ سفينة بريطانية فى القنال بغير تفريغ لشحناتها .

ثم صدر قرار وزارى بمنع السكك الحديدية من نقل أى مهمات أو مواد الى القاعدة البريطانية وكذلك منع النقل البرى والنهرى اليها .

وصدر تشريع بمعاقبة كل من يتعاون مع القوات البريطانية بالسجن . وقيل أن الحكومة اتصلت بسفراء يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتى لطلب شراء اسلحة حديثة للبوليس .

وهكذا حوصر الانجليز حصارا تاما ، ومع احكام هذا الحصار وتصاعد العمل الفدائى ، وصل الى القاهرة نجيب الراوى موفدا من نورى السعيد رئيس وزراء العراق حيث قابل فؤاد سراج الدين فى مكتبه بوزارة المالية ، وقال له ان الانجليز قد أفلسوا تماما ، وانهم يطلبون حلا يحفظ ماء الوجه ، وانهم مستعدون للموافقة على كل شىء شرط ايقاف أعمال الكفاح المسلح فى القناة . ورد عليه فؤاد سراج الدين أن الموقف قد وصل الى الحد الذى لا يجرؤ فيه مصرى على اعلان ذلك ، وأنه على الانجليز أن يقرروا الجلاء وعلينا تأمين ظهرهم أثناء الرحيل(١) .

وهكذا ، يمكننا ان نفهم مغزى « حريق القاهرة » فقد وصل المد الثورى ، فى ظل حكومة النحاس ، وبمساندة منها ، الى درجه الغليان .. وكان لابد من اطفائه بافتعال حريق القاهرة ..

ولم يكن بامكان أى حادث اقل من الحريق المروع ان يطفىء جذوة الحماس الملتهب التى اشعلها النحاس فى قلوب شعب مصر ، فى هذه الفترة المجيدة من تاريخ الوطن .

٧ ــ النحاس وثورة يوليو ..

كثيرا ما يعبر المؤرخون غن حيرتهم ــ لان زعيما مثل محمد فريد افنى حياته اعدادا لثورة ١٩١٩ ، ثم

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٧ .

عندما قامت لم يملك ان يخفى دهشـــته البالغة من قيامها .. ثم يموت وهو غريب عنها ، عاجز عن التوائم معها ..

فهل كان موقف النحاس من ثورة يوليو ١٩٥٢ ، هـــو نفس موقف محمد فريد من ثورة ١٩١٩ .. ؟ ربما كان من حقنـــا ان نؤكد ان النحاس قد فوجىء مفاجأة تامة بثورة يوليو .. وانه لا هو ولا حزبه كانا يتوقعان قيامها ..

وفى الايام الاولى للثورة اعلن حـــزب الوفد تاييده لها .. لكنه جاء فى موكب التأييد الشامل الذى شنته كل القوى السياسية الرسمية ، فجاء ــ لهذا السبب ــ بغير حماس خاص ..

ويمكن القول ، ان العلاقة بين الوفد والثورة معقدة بشكل متميز .. ذلك أن الكثيرين من ضباط يوليو لم يكونوا يملكون مشاعر معادية للوفد ، بل ربما كانوا يعطفون عليه ، ذلك النوع من العطف الوجـــدانى الذى يشمل غالبية المصريين تجاه حزب الاغلبية . لكن مشـــاعرهم ايضـــا لم تكن تخلو من انتقادات .. وهواجس . كذلك ، كان الوفـــد يمتـــلك الكثـــير من مؤهلات التقارب مع ثورة يوليو ، لكنه كان يشـــعر بأن واجبها الأول والأخير هو اجراء انتخابات نيابية حرة ، وبأقصى سرعة ممكنة ، الامر الذى يعنى عودته الى الحكم . اى عودة الضباط الى ثكناتهم .

ومن هنا جاء التناقض الاول ..

اما التناقض الثانى ، فقد جاء مع قانون الاصلاح الزراعى ، والحقيقة ان الوفد قد انقسم انقساما حقيقيا ازاء قانون الاصلاح الزراعى وتفجر ذلك التحالف الذى ظل قائما فى قمة الحزب — لامد طويل — بين البرجوازية وبين كبار الملاك الزراعيين .

فقد اعلن عبد السلام فهمى جمعه انه يوافق تماما على تحديد الملكية الزراعية(١) واعلن عبد الفتاح حسن ، فى حديث له مع جريدة « التمبو » الايطالية ، بأن الوفد يفضل تحديد ملكية الاراضى الزراعية على زيادة الضرائب(٢) .. وثمة دلائل قوية على ان النحاس كان زعيم هذا التيار ، بينما يمكن القول ان فؤاد سراج الدين كان زعيم تيار آخر من كبار الملاك الزراعيين قاوم — والى اقصى حد — قانون تحديد الملكية . بل ويمكن القول ان مقاومته هذه قد ولدت مخاوف لدى قادة الثورة من ان عودة الحياة النيابية (اى عودة الوفد) سوف تعنى التراجع عن القوانين الثورية وهكذا اسهمت معارضة اقطاعيى الوفد ، مع عوامل اخرى ، فى ترسيخ فكرة استمرار الضباط فى الحكم وتجاهل الدستور والاحزاب ثم حلها فى المستقبل . ويقول جمال عبد الناصر : انه عقد اربعة اجتماعات مع فؤاد سراج الدين ، وان الخلاف تركز حول قانون تحديد الملكية ، وان سراج الدين كان يطالب

---

(١) المصرى ١٩٥٢/٩/٦ .
(٢) المصرى ١٩٥٢/٨/١٤ .

بضرائب تصاعدية(١) . لكن المؤكد ان الوفد قد استطاع ان يصل ، بعد هذا الخلاف ، الى موقف موحد أعلن فيه موافقته على مشروع الاصلاح الزراعى من حيث المبدأ ، ولكنه ابدى بعض ملاحظات وتعديلات على المشروع ابلغها الى الجهات المسئولة(٢) .

ثم لا يلبث جناح النحاس ان يخذل كبار الملاك فى الحزب حيث نجح فى ان يضمن برنامج الحزب الصادر فى ٢٣ / ٩ / ١٩٥٢ فقـــرة تقول : « يرى لوفـــد أن مشروع تحديد الملكية والاصـــلاح الزراعى يتفق مع ما يهدف اليه من اشاعة العدالة الاجتماعية والتقريب بين الطبقات وتشجيع استثمـــار رؤوس الأموال فى الصناعات والاتجاه نحو تصنيع البلاد » (٣) .

ومن هنا فاننا ـــ لا نفهم ـــ كيف اكد عبد الناصر فى احد خطبة بعد تسع سنوات ان الوفديين : « رفضوا تحديد الملكية الذى طلبناه ، ورفضوا أن يعودوا الى الحكم على أساس تحديد الملكية »(٤) .

وعلى ايه حال ، فان العلاقات مالبثت ان تدهورت بين النحاس والثورة . فقد صـــمم النحاس على ان المخرج لكل المشكلات هو عودة الضباط الى ثكناتهم واعمال دســـتور ١٩٢٣ واجراء انتخابات نيابية ..

---

(١) خطاب جمال عبد الناصر فى الاجتماع الاول للجنة التحضيرية للؤتمر الوطنى ـــ ١٩٦١/١١/٢٥ .

(٢) المصرى ١٩٥٢/٩/٦ .

(٣) المصرى ١٩٥٢/٩/٢٣ .

(٤) خطاب جمال عبد الناصر فى الاجتماع الاول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى ـــ المرجع السابق .

لكن الثورة كانت تقول باقامة حياة نيابية « سـليمة » وكان الخلاف حول كلمة « سليمة » هذه ، لانها ادت الى حمله من التشـهير باساليب الحكم السـابقة ، وكان فى ذلك كله ما يمس النحاس بشكل مباشر ويمس حزبه ككل .

ثم بدات المصادمات العنيفة من محاولة تقسيم حزب الوفد بالايحاء بان الاعتراض ـ منصب على شـخص رئيسـه ، الى التشهير بالنحاس وزوجته وتصرفاتها المالية ، الى تقديمها لمحكمة الثورة . وفى عام ١٩٥٤ تقـرر تحديد اقامته وهو وزوجتـه . ثم توج ذلك كله بتقديم اقرب المقربين الى النحاس وهو ابراهيم فرج الى محكمة الثورة .. وكانت تهمة ابراهيم فرج هى « الخيانة العظمى » .. وكانت المحاكمة سرية تمـاما بحيث لم تعلن حتى عريضة الاتهام ولا نوع التهمة ، ولم ينشر منها سوى كلمة الدفاع وكان د . محمد صلاح الدين . ومن مرافعة الدفاع لا نجد اثرا لشبهة الاتصال بدولة اجنبية وحتى لم يرد اسـم اى دولة .. لكننـا نلاحظ ان الدفاع قد ركز كثيرا على علاقة ابراهيم فرج بالنحـاس ، وقال ان النحـاس كان ولى أمره ، وهو طالب ، ثم وظفه فى مكتبه عندما تخرج محاميـا وان العلاقة بينهما علاقة الابن بالوالد . ثم يسأل الدفاع هيئة المحكمة « هل يخاف احد من النحاس وهو فى هذا السن . مثل هذا المريض المتقدم فى السن يخاف منه على الثورة ؟ أبدا » (١) . ويبدو الأمر وكان أحد التهم

---

(١) محاكمات الثورة ـ المضبطة الرسمية جلسات محكمة الثورة ـ اعداد كمال كيرة ـ الكتاب الثانى ـ وزارة الارشاد القومى ـ ص ٣١٥ .

المنسوبة الى ابراهيم فرج هى أنه كان على علاقة ما بالنحاس .

ثم يمضى الدفاع ليصل الى تهمة اخرى وهى اتصال ابراهيم فرج بالشيوعيين وبيوسف حلمى على وجه التحـــديد(١) .

ويصدر الحكم على ابراهيم فرج بالاشغال الشاقة المؤبدة ، ثم يخفف الى خمسة عشر عاما ..

ويشعر الجميع ان المحاكمة والحكم .. موجهان الى شـــخص آخر حالت ظروف سنه المتقـــدم ، وحالته الصحيه ، وزعامته الشعبية الطاغية دون ان يوضع فى قفص الاتهام .. شخص آخر هو مصطفى النحاس الذى كان المعنى بهذه المحاكمة ..

ولم تكن محاكمة « ابراهيم فرج » كافية . وهكذا قدم لنفس المحكمة زميل آخر ـ لمصطفى النحاس هو « محمود سليمان غنام » وفى هذه المره يحاول رئيس المحكمة ، قائد الجناح عبد اللطيف البغـــدادى ، ان يعرض بمواقف حزب الوفـــد ويعيره بالتهـــاون مع الملك .. لكن الدفاع وكان د . محمد صـــلاح الدين أيضا يرد عليه ردا شجاعا وحاسما : « ان ســـيادة الرئيس يعلم ـ وهو ســـيد العـــارفين ـ كيف كان الجيش يســـتخدم فى وقت من الأوقات ضـــد الحركة

---

(١) المرجع السابق ص ٣١٩ .

الوطنية ، وقد كان الجيش فى يد جماعـــة تعلموا على يد الانجليز ، وكانوا يوجهون الجيش ضـــد الحركة الوطنية . .

وفى كل مناسبة من المناسبات التى كانت تلى فيها الحكم الوزارة الوفدية كانت تصطدم بالملك السابق ، ولم تكن تخرج من الحكم الا مقالة . وفى كل مرة من المرات ، حتى بلغ عدد مرات اقالتها خمســـا . ثم بعد ذلك فى آخر مرة جاء فيها الحكم ارادت ان تجرب تجربة وهى سياسة المهادنة مع هــذا الملك الطاغية ، وكانت تهـــدف من ذلك الى غرضين : الأول أنه ربمـــا أمكنها التخفيف من طغيانه ، ولعلكم تذكرون ما كان يقـــال عن الوفد وعن ان النحاس رفع علما على بيته ، عاوز يعمل راسه براس الملك . وأن النحاس قاعد امام الملكومربع ايديه ، وأن النحاس عاوز الجمهورية ، كما سبق اتهم سعد زغلول بأنه يطمع فى عرش مصر »(١) .

وتصدر المحكمة حكمها بالسجن مدى الحياة لمحمود سليمان غنام . .

وتمضى الأيام . . ويتصور البعض أن النحاس قـــد طواه النسيان ، وان هـــذه الصفحة الناصعة من تاريخ مصر قد نسيت . . وفجاة يعود النحاس ليثبت بموته أنه لم يزل حيا فى قلوب الكثير من المصريين .

محاكمات الثورة ـــ اعداد كمال كيرة ـــ الكتاب السادس (الجزء الثانى من محاكمة محمود سليمان غنام) . ص ١٠١٣٣ .

وعنــدما مات مصطفى النحـــاس فى ٢٣ أغسطس ١٩٦٥ تحولت جنازته الى مظاهرة صاخبة ضمت قرابة المائة ألف متظاهر . .

واثبت النحاس انه لم يزل حيا . .

وأنه لن يموت . .

واثبت شعب مصر انه — وبرغم كل شىء — يمتلك قدرا هائلا من الوفاء والعرفان بالجميل . .



وثائق

سبعون وزارة تشكلت عبر مسار التاريخ المصرى الحديث ، منذ النظارة الأولى التى شكلها نوبار باشا فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ ، وحتى الوزارة رقم ٧٠ التى شكلها على ماهر باشا فى أعقاب ثورة يوليو ١٩٥٢ .

لم يحدث طوال هذا التاريخ ان اقيل رئيس وزراء الا مصطفى النحاس باشا . كانت كل الأزمات،أو التغييرات الوزارية ، تسوى بأن يقدم رئيس الوزراء استقالته ، أما النحاس الذى كان مقتنعا اقتناعا لا يتزعزع بأنه صاحب الأغلبية البرلمانية ، ومن ثم صاحب الحق الدستورى المطلق فى الحكم ، فقد رفض اية تسويات لأزماته مع الملك ، ورفض أن يقدم أية استقالة ، ومن ثم فقد كان السبيل الوحيد أمام القصر للاطاحة بحكومات الأغلبية هو اقالتها .

وكان النحاس يجابه كل محاولة لاقناعه بالاستقالة بقوله شهيرة « . .لن تستطيع قوة على الأرض أن تنحينى عن واجبى فى خدمة الأمة ، الا هذه الأمة ذاتها ، فهى التى وكلتنى وهى التى ان شاءت عزلتنى »(١) .

ولقد شكل النحاس باشا سبع وزارات . . قدم استقالة واحدة ، بعد فشله فى المفاوضات ، وقدم استقالة شكلية مرتين بهدف اعادة تشكيل وزارته من جديد ، واقيل اربع مرات ، كانت الاقالات الوحيدة فى تاريخ مصر الحديث .

---

(١) رابطة الشباب — ١٩٤٦/٤/١٥ .

ان هذه الاقالات ــ هى فى واقع الأمر ــ أعز ما نال النحاس من تقدير ، وأرفع ما تقلد من أوسمة عبر كفاحه الطويل ، فهى تعبير عن شجاعة نادرة فى مجابهة طغيان السراى ورفض لاحناء الرأس أمام جبروتها ، وهى أيضا دليل قاطع على أن مصطفى النحاس كان رجلا مختلفا عن كل رؤساء الوزراء الذين حكموا مصر ابتداء من نوبار باشا وحتى على ماهر باشا .. كان متميزا عنهم ، فاستحق الاقالات الأربع الوحيدة فى تاريخ مصر ..

ومن هنا تبرز أهمية هذه الوثائق ، انها توضح الى أى حد كان الملك ورجال القصر يحقدون على النحاس ويتحينون الفرص لطعنه والخلاص منه .. وهى توضح أيضا مدى صعوبة المعركة التي خاضها النحاس فى محاولته لتأكيد الحقوق الدستورية لحزب الأغلبية البرلمانية .

* * *

ولقد اكتفينا بايراد خطابات التشكيل ثم خطابات الاقالة ، غير أن هناك وثيقة هامة رأينا ايرادها هنا وهى خطاب قبول النحاس لتشكيل الوزارة الخامسة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ فهى وثيقة نادرة ، انها تجسيد لشخصية النحاس واسلوبه فى مجابهة القصر وفى مجابهة الاحتلال.

ان خطاب النحاس الى الملك يتضمن ، ولأول ولآخر مرة فى تاريخ مصر ، توجيهات وتحديدات وشروط ، وهو يورد ــ ولأول مرة ــ دفاعا حارا عن الفقراء ، وهو يهاجم خصومه السياسيين ويقدم أدلة اتهامه تفصيلا ،

ثم هو ، فوق ذلك كله او قبل ذلك كله ، يصحح الأوضاع عقب حادث ٤ فبراير فيصمم على أن يورد ضمن خطاب قبوله لتشكيل الوزارة — وهى سابقة تاريخية لا مثيل لها — نص رسالتين متبادلتين بينه وبين السفير البريطانى يصمم فيها النحاس على أن ينال من السفير اعترافا بعدم مشروعيـــة أى تدخل بريطانى فى شـــئون مصر المستقلة وبخاصة فى تأليف الوزارات أو تأليفها .

* * *

وباختصار فان تصسح هذه الوثائق يمكنه أن يقـــدم للقارىء صورة مركزة لحقيقة الصراعات التى خاضـــها مصطفى النحاس ، وطبيعـــة المعركة التى عاشـــها ، والصعوبات والتحديات والخصومات التى واجهها .. وبهذا فانها تكتسب أهمية تاريخية فريدة .

الوزارة الأولى

١٦ مارس سنة ١٩٢٨ ــ ٢٥ يونيو ١٩٢٨

أمر ملكي رقم ١٤ لسنة ١٩٢٨

صادر الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا

لمــا لنا من الثقة بكم ، ولما نعهـــده فيكم من الخبرة والجدارة لتولى مهام الأمور ، قد اقتضت ارادتنا توجيه مسند رياسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرياسة الجليلة اليكم .

واصدرنا أمرنا هذا لدولتكم للاخذ فى تاليف الوزارة، وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا العالى به .

والله المسئول أن يمدنا فى كل الأمور بعونه وعنايته ، وأن يوفقنا جميعا لمــا فيه الخير للبلاد .

صدر بسراى عابدين فى ٢٤ رمضان سنة ١٣٤٦

(١٦ مارس ١٩٢٨)

فـــؤاد

اقـــالة

امر ملكى رقم ٣٧ لسنة ١٩٢٨
باقالة حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا

لمـــا كان الائتلاف الذى قامت على أساسه الوزارة قد أصيب بصدع شديد ؛ فقد رأينا اقالة دولتكم ،شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم ما أديتم من عمل فى خدمة البـــــلاد .

صدر بسراى عابدين فى ٧ محرم سنة ١٣٤٧

(٢٥ يونية سنة ١٩٢٨)

فــؤاد

الوزارة الثـــانية

أول يناير ١٩٣٠ ــ ١٩ يونيو ١٩٣٠

امر ملكى رقم ٢ لسنة ١٩٣٠

صادر الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا

لمـــا عهدناه فيكم من الاخلاص والولاء وحسن الروية، قد اقتضت ارادتنا اسناد رياسة مجلس وزرائنا اليكم .

واصدرنا امرنا هـــذا لدولتكم للاخذ فى تاليف هيئـــة الوزارة ، وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به .

ونرجو الله ان يجعل التوفيق رائدنا جميعا فيمايعود على بلادنا بالخير والسعادة .

صدر بسراى القبة فى غرة شعبان سنة ١٣٤٨

(١ يناير ١٩٣٠)

فـــؤاد

اســـــتقالة

كتاب الاستقالة

المرفوع الى حضرة صاحب الجلالة الملك

من حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

مولاى

أتشرف بأن أرفـــع الى سدتكم العليـــة اســــتقالتى وزملائى من الوزارة ، نظـــرا لعـــدم تمكننا من تنفيذ برنامجنا الذى قطعنا على أنفسنا العهد بتنفيذه . راجيا أن تتفضلوا بقبولها .

وانى على الدوام خادم سدتكم المخلص الوفى الأمين .

القاهرة فى ٢٠ محرم سنة ١٣٤٩

(١٧ يونية ١٩٣٠)

مصطفى النحاس

الوزارة الثـــالثة

٩ مايو ١٩٣٦ ـــ ٣١ يوليو ١٩٣٧

أمر ملكى رقم ٢

صادر الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

دولة الرئيس العزيز مصطفى النحاس باشا

لمـــا أنتم عليـــه من عظيم الاخلاص والولاء ، فـــوق ما حزتم من ثقة كبرى ، ولمـــا اتصفتم به من اصـــالة الراى ومضـــاء العزيمة ، وما نعرفه فيـــكم من واسـع الخبرة وكمال الكفاية وسمو التدبير ، قد اقتضت ارادتنا اسناد رياسة مجلس الوزراء اليكم .

واصدرنا أمرنا هذا لدولتكم ، للاخذ فى تاليف هيئـــة الوزارة ، وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به .

وفقنا الله جميعا ، وسدد خطانا الى ما فيه خـــير الوطن .

صدر بسراى عابدين فى ١٨ صفر سنة ١٣٥٥

(٩ مايو ١٩٣٦)

بمجلس الوصاية

محمـــد على   عبد العزيز عزت   شريف صـــبرى

(عقب تولية الملك فاروق العرش فى ٢٩ يوليو١٩٣٧ قدم مصطفى النحاس باشا استقالته للملك وفقا للقواعد الدستورية فى ٣١ يوليو ١٩٣٧ ، وقد كلفه الملك فى اليوم التالى مباشرة بتشكيل وزارته الرابعة) .

الوزارة الرابعة
اول اغسطس ١٩٣٧ ــ ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧

امر ملكى رقم ٣ لسنة ١٩٣٧
صادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع
مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا

انى وقد حملت الأمانة التى عهد الله بها معتمدا عليه سبحانه وتعالى لأجد فيكم وقد أحرزتم الثقة الكبرى بعظيم اخلاصكم وولائكم وصادق وطنيتكم وقدمتم تلك الخدمات المجيدة بحسن جهادكم وسداد رأيكم وثبات عزمكم ــ ذلكم الذى توليه مهام الدولة فنعهد اليه برياسة مجلس وزرائنا .

وانى لعلى يقين انكم بواسع خبرتكم وسمو تدبيركم ستواصلون جهودكم الموفقة بمعاونة من تختارونهم على تحقيق أمانى ورغائبى فى اسعاد شعبى الذى أشربت حبه ووقفت حياتى على رقيه ورفاهيته ، اذ لا هناءة لى الا بهنائه .

وقد اصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع للأخذ فى تأليف هيئة الوزارة ، وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا بــه .

والله ولينا ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

صدر بسراى عابدين فى ٢٤ جمادى الأولى سنة١٣٥٦
(أول اغسطس ١٩٣٧)

فــاروق

اقـــالة

امر ملكى رقم ٣٨ لسنة ١٩٣٧
باقالة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا

نظرا لمـــا اجتمع لدينا من الأدلة على ان شـــعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم ، وانه ياخذ عليهـــا مجافاتها لروح الدستور ، وبعـــدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها ، وتعذر ايجاد سبيل لاستصلاح الأمور على يد الوزارة التى تترأسونها لم يكن بد من اقالتهـــا تمهيدا لاقامة حكم صالح يقوم على تعرف رأى الأمة ، تستقر به السكينة والصفاء فى البلاد ، ويوجه سياستها خير وجهة فى الظروف الدقيقة التى تجتازها ، ويحقق آمالنا العظيمة فى رقيها وعزتها .

وانى اشكر لمقامكم الرفيع ولحضرات زملائكم ما تم على أيديكم من الخير للبلاد .

وأصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع بذلك .
صدر بسراى القبة فى ٢٧ شوال سنة ١٣٥٦

(٣٠ ديسمبر ١٩٣٧)

فـــاروق

الوزارة الخامسة

٤ فبراير ١٩٤٢ ــ ٢٦ مايو ١٩٤٤

امر ملكى رقم ٦ لسنة ١٩٤٢
صادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع
مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا
يسرنى وقد عرفت فيكم اصالة الراى وسداد التدبير وقوة الاخلاص أن اسند اليكم رياسة مجلس وزارتنا .

ان مصر وطننا العزيز لأحوج ما تكون فى هذه الآونة الدقيقة الى تضافر الجهود وضم الصفوف ، وجمع القوى وبذل التضحية ، وانكار الذات فى سبيل حفظ كيانها ، واعلاء شأنها ورفاهة شعبها ، وذلك ما أرجو أن يكون بتوفيق الله وعظيم تأييده .

وقد اصدرنا امرنا هذا الى مقامكم الرفيع للاخذ فى تأليف هيئة الوزارة وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به .

والله المسئول أن يوفقنا جميعا الى العمل على ما فيه اسعاد الأمة والبلاد .

صدر بقصر عابدين فى ١٨ محرم ١٣٦١
(٤ فبراير ١٩٤٢)

جـــواب

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

يا صاحب الجلالة

تفضلتم جلالتكم فعهدتم الى مهمـــة تأليف الوزارة فى هذه الظروف الخطيرة ، وابيتم الا ان تزيدونى شرفا فوق شرف بأن أعربتم ، بلسانكم الكريم المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة ، عن ثقتكم فى وطنية هذا الضعيف ، وانكاره لذاته ، مؤكدين أن هاتين الصفتين الكريمتين اللاتين شاء فضلكم أن تسندوهما الى تقضيان على بأن أتقدم لانقاذ الموقف واتحمل مسئولية تطورات علم الله ان لم يكن لى يد فيها ، بل جلبها على البلاد غيرى بأعماله أو باهماله فأصبح من واجبى كمصرى وكوطنى — اذا اتسعت لذلك جهودى — ان انقذ البلد من نتائجهـــا وأجنبها وزرها ، بعد أن ظهرت بوادرها وتكررت نذرها .

قدرت المسئولية ووزنت عبء أثقالها ، فرجحت أمام عينى كفـــة ضعفى عن احتمالها فاعتـــذرت عن قبول الوزارة فتفضلتم فأصررتم ، فزادنى اصراركم على ثقـــة بى خشية من الثقة بنفسى ، لكنى ازاء أمركم الصادر الى باسم العرش ومصر قبلت وعلى الله توكلت .

وكان أول عهد اخذت به نفسى أن أحاول انقاذ البلاد من خطورة الموقف الأخير فأخطو خطوة عمليـــة حاسمة فى هـــذا السبيل قبل المضى فى تأليف الوزارة ، بل كشرط أول اشترطته على نفسى للسير فى تأليفها .

وقد رأيت أن خطورة الموقف لا يكفى فى معالجتها كلمة أقولها . أو صيحة أرسلها أو دعوة أبدلها ، بل يجب لوضع الأمور فى نصابها أن تؤتى البيوت من بوابها، فيصدر تصريح من الجانبين يحفظ للوطن استقلاله وحقوقه ، وتقطع لنا الحليفة عهدا رسميا يمحو ما عكر أو ما من شأنه أن يعكر صفو الجو بين الحليفتين .

وتحقيقا لذلك اجتمعت بسعادة السير مايلز لامبسون السفير البريطاني فى مصر ، وأوضحت له وجهة نظرى التى بها وحدها تصان حقوق الوطن ، وتتوطد صلات المودة والتحالف بين مصر وبريطانيا ، فلقيت من سعادته رغبة صادقة وأكيدة فى تنفيذ المعاهدة بين بلدينا على أساس الاحترام والود المتبادلين ، ومعاملة مصر معاملة الند للند ، من غير مساس باستقلالها ، وحقوق سيادتها، أو تدخل فى شئونها الداخلية ، وبخاصة تكوين أو تغيير وزارتها .

وفيما يلى نص هذين الكتابين التاريخيين ، أثبتهما بعد كريم أذنكم :

« يا صاحب السعادة . .

لقد كلفت بمهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذى صدر من جلالة الملك بما له من الحقوق الدستورية، وليكن مفهوما أن الأساس الذى قبلت عليه هذه المهمة هو أنه لا المعاهدة البريطانية المصرية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل فى شئون مصر الداخلية ، وبخاصة فى تأليف الوزارات أو تغييرها .

وانى اومل يا صاحب السعادة ان تتفضلوا بتأييد تضمن خطابى هذا من المعانى وبذلك تتوطد صلات ودة والاحترام المتبادلين وفقا لنصوص المعاهدة .

وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول فائق احترامى .

٥ فبراير ١٩٤٢

مصطفى النحاس

الى حضرة صاحب السعادة السير مايلز لامبسون سفير البريطانى فى مصر ــ القاهرة .

(ترجمة)

« ياصاحب المقام الرفيع ..

لى الشرف ان أؤيد وجهة النظر التى عبر عنها خطاب فعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم ، وأن أؤكد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون اخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة فى تنفيذ المعاهدة البريطانية المصرية ، من غير أى تدخل منها فى شئون مصر الداخلية ولا فى تأليف الحكومات أو تغييرها.

وانى لأنتهز هذه الفرصة لأؤكد لرفعتكم فائق احترامى

٥ فبراير ١٩٤٢

مايلز لامبسون

الى حضرة صـــاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا . .

رئيس مجلس الوزراء
القـــاهرة

(ترجمة)

يا صاحب الجلالة

بعد أن وفقنى الله الى هـــذه النتيجة ، التى جلبت للبلاد كسبا ، ولم تنحصر فى أن تدفع عنها ضرا ، فحققت وعد الخلاق الكريم لخلقه من ان بعد العسر يسرا ، بعد ذلك التوفيق لم يبق لى الا أن ارجو من الله توفيقا فيما بقى من مهمتى ، وما تفضلتم فحملتموه فى ذمتى من تولى شئون الحكم فى البـــلاد ، تحقيقـــا لحريتها ومصلحتها ورفاهيتها بعد أن عانى الشعب كثيرا مما وجد ، وبعد أن أهدر ما أهدر ، وفسد ما فسد .

وسيكون أول عمل الوزارة التى شرفتمونى برياستها هو أن توطد الحياة النيابية الصحيحة وان تكفل أحكام الدستور صيانة للحريات ، وتيسيرا لعوامل الطمأنينـــة والعدل والمساواة ، حتى يستظل بظلها الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، من غير ما ميل او محاباة أو محسوبية ، أو مراعاة للوجوه الا وجه ربك ذى الجلال .

ذلك لأن هـــذه الوزارة تؤمن بأن اتحاد الـــكلمة على احترام الدستور والحياة النيابية الصحيحة هو وحـــده الكفيل بتحقيق الحكم الديمقراطى فى مصر ، وهو وحـــده

الكفيل بتوحيد الصفوف وتضافر الجهود وحشد القوى فى سبيل حفظ كيان البلاد واعلاء شأنها ورفاهة شعبها .

ومن ثم فسيكون فى طليعة ما تعنى به الوزارة ، اثر صدور الأمر الكريم بتأليفها أن تعرض على جلالتكم مشروع مرسوم بحل مجلس النواب الحاضر لكى يكون للامة ، ممثلة فى ناخبيها ، الكلمة الفاصلة فى تقرير مصيرها وتدبير امورها ، فى هذه الظروف الخطيرة التى تجتازها البلاد وسيحدد للانتخابات لعامة اقرب أجل ممكن فى حدود الدستور ، بحيث لا يتجاوز الشهرين المقررين فى نصوصه .

وكذلك ستعنى الوزارة عناية خاصة بتموين البلاد ، فتعالج جهد الطاقة كل ما يمكن معالجته من اخطاء الماضى ، حتى ينعم الفقير قبل الغنى بخير أرضنا التى كانت وما تزال مباركة الثمرات ، وفيرة الخيرات . .

وستعالج الوزارة ، فيما تعالج ، جميع ما خلفته آثار الماضى من تركة مثقلة بجسيم الأعباء ، وباهظ النفقات ، وتعنى على وجه عام بتوطيد الاقتصاد الأهلى على اسس ثابتة الأركان والاتجاهات ، من غير أن تنقصها المرونة اللازمة لمواجهة مختلف التطورات والاحتمالات الاقتصادية .

وسترعى الوزارة فى سياستها الخارجية أول ما ترعى تجنيب البلاد ويلات الحرب وشرورها .

وكذلك ستعمل الوزارة على توطيد الثقة والصداقة بين مصر المستقلة وحليفتها بريطانيا العظمى ، وعلى أن

تنفذ المعاهدة البريطانية المصرية من الطرفين تنفيذا صادقا لمصلحة البلدين ، وعلى تعزيز صلاتنا الودية بالبلاد الأجنبية ، وبخاصة لبلاد العربية والشرقية التى تربطنا بها الأواصر الوثيقة من قديم .

. . . . . .

واتشرف بأن أعرض على جلالتكم اسماء حضرات الوزراء الذين قبلوا معاونتى فى مهمتى محتفظا لنفسى بوزارتى الداخلية والخارجية .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

مصطفى النحاس

(وعلى اثر الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد رفع النحاس الى الملك استقالة وزارته الخامسة فى ٢٩ مايو ١٩٤٢ حتى يتمكن من اعادة تشكيلها بعد ابعاد مكرم عبيد وقد قبل الملك الاستقالة وكلفه على الفور بتشكيل الوزارة السادسة) .

الوزارة السادسة

٢٦ مايو ١٩٤٢ ــ ٨ أكتوبر ١٩٤٤

أمر ملكى رقم ١٧ لسنة ١٩٤٢

صادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع

مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس

يسرنى وقد عرفت لكم سداد الرأى وبعد الهمة وصدق الولاء ، أن اسند اليكم رياسة مجلس وزرائنا ، راجيا لكم التوفيق فى ظل من التعاون والصفاء الذى أود أن يكون شعار الجميع حتى تصل سفينة البلاد فى هذه الآونة العصيبة الى شاطىء السلام .

وقد اصدرنا أمرنا هذا الى مقامكم الرفيع ، للاخذ فى تأليف هيئة الوزارة ، وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به .

والله المسئول أن يوجهنا الى ما فيه خير الوطن العزيز .

صدر بقصر عابدين فى ١١ جمادى الأولى ١٣٦١

(٢٦ مايو ١٩٤٢)

فاروق

اقـــالة

أمر ملكى رقم ٢٥ لسنة ١٩٤٢

باقالة وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع

مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا

لمـــا كنت حريصـــا على أن تحـــكم بـــلادى وزارة ديمقراطية ، تعمل للوطن ، وتطبق أحكام الدستور نصا وروحا وتســـوى بـــين المصريين جميعا فى الحقـــوق والواجبات ، وتقوم بتوفـــير الغذاء والكساء لطبقـــات الشعب ، فقد رأينا أن نقيلكم من منصبكم .

وأصدرنا أمرنا هـــذا لمقامكم الرفيع ، شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم ما أمكنكم أداءه من الخدمات أثناء قيامكم بمهمتكم .

صدر بقصر عابدين فى ٢١ شوال ١٣٦٣

(٨ أكتوبر ١٩٤٤)

فـــاروق

الوزارة الســـابعة

١٢ يناير ١٩٥٠ ــ ٢٧ يناير ١٩٥٢

امر ملكى رقم ٥ لسنة ١٩٥٠
صـادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع
مصطفى النحاس باشا

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

ان توفير الرفاهية لشعبنا من امن وسلام ، اعــز رغباتنا ، واعظم ما تتجه اليه امانينا ، ورائدنا دائمــا أن تكون الحيــاة النيابية ونظم الحــكم صورة صحيحة لأمانى البلاد ، وأن تكون عامل اسعاد ودعامة استقرار .

وبلادنا العزيزة اليوم فى مسيس الحاجة الى هــدوء وسكينة وعمل منتج يوفر كل أولئك الطمأنينة لأهل البلاد وضيوفها .

لذلك اقتضت ارادتنا تحميلكم امانة الحكم ، واسناد رئاسة مجلس الوزراء اليكم ، لتقوموا بتلك المسئوليات الجسام التى ستلقى على عاتقكم فى تلك الحقبة الدقيقة من حياة البلاد ، والتى تقتضيكم العمل لصالح الشعب ، على نهج واضح من السياسة القومية الى تهــدف الى تأليف القلوب وتوحيد الجهود ، للسير بالوطن العــزيز نحو الغاية التى نؤملها جميعا لرفعته واسعاده ، وتحقيق ما ينشده اهله من مطالب طبيعية عادلة .

وانا على يقين من ان تلك الامانى ستكون رائدكم ورائد من تختارونهم للاضطلاع باعباء الحكم .

وقد اصدرنا امرنا هذا الى مقامكم الرفيع ، للاخذ فى تاليف هيئة الوزارة ، وعرض المشروع علينا ، لصدور مرسومنا به .

نسال الله جلت قدرته أن يكلأ بلادنا برعايته ، ويوفقنا جميعا الى ما يعود على رعايانا بالخير والسعادة .

صدر بقصر القبة فى ٢٣ ربيع الاول ١٣٦٩

(١٢ يناير ١٩٥٠)

فـــاروق

اقـــالة

أمر ملكى رقم ٨ لسنة ١٩٥٢
صادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع
مصطفى النحاس باشا

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

ان أشد ما نحرص عليه ونعمل له ، هو أن تنعم بلادنا العزيزة بحكم يحفظ سلامتها ويرعى الأمن بين ربوعها ، تسود فيه كلمة القانون ، ويستتب معه النظام، وتتوافر فى ظله طمأنينة الناس على أرواحهم وأموالهم .

ولقد أسفنا أشد الأسف لما أصيبت بـه العاصمة أمس من اضطرابات نتجت عنها خسائر فى الأرواح والأموال ، وسارت الامور سيرا يدل على أن جهد الوزارة التى ترأسونها قد قصر عن حفظ الأمن والنظام.

لذلك رأينا اعفاءكم من منصبكم ، واصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم ما قمتم به مدة اضطلاعكم بأعباء منصبكم .

صدر بقصر عابدين فى ٢٩ ربيع الثانى ١٣٧١
(٢٧ يناير ١٩٥٢)

فـــاروق

المراجــع

كتب ومراجع عربيــة :

— احمد حســين — ايمــانى — الطبعــة الأولى (١٩٣٦) .

— أحمد شفيق باشا — حوليات مصر السياسية .

— أحمد حمروش — قصة ثورة ٢٣ يوليو — مصر والعسكريون — المؤسسة العربية للدراســات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ .

— د. اسحق موسى الحسينى — الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة .

— المؤتمر الوفدى الكبير — مستقبل مصر كما رسمه الزعيم لمصطفى النحاس واقطاب الوفد (نوفمبر ١٩٤٣) .

— جلال الدين الحمامصى — معركة نزاهة الحــكم (فبراير ١٩٤٢ — يوليو ١٩٥٢) — دار الــكاتب العــربى — (١٩٥٧) .

— حسن البنا — مذكرات الدعوة والداعية — دار الكتاب العربى — القاهرة .

— حسن البنا — الرسائل .

— صلاح عيسى — حكايات من مصر — دار الوطن العربى — بيروت .

— يوزباشى صلاح نصر ، يوزباشى كمال
الشرق الأوســط فى مهب الريــح
استراتيجية) مكتبة النهضة (١٩٤٩)

— صلاح نصر — عملاء الخيانة
الوطن العربى — بيروت .

— طارق البشرى — الحركة السياسية
— ١٩٥٢ — الهيئــة المصرية
. (١٩٧٢)

— لطفى عثمان — المحاكمة الكبرى
السياسية — دار النيل للطباعة (١٤٨

— د. عاصــم الدســوقى — كبــار
الزراعية وعددهم فى المجتمع المصرى
١٩٥٢ — رسالة دكتوراه (غير منشور

— د. عبد الخالق لاشين — سعد زغلول
السياسة المصرية — دار العودة — بيروت .

— عبد المنعم الغزالى — تاريخ الحركة
دار الثقافة الجديدة (١٩٦٨) .

— عبد الحليم الياس نصير — عهد الاستقلال
عبد الحليم حسن (١٩٣٦) .

— د. عبد العظيم رمضان — تطور الحركة
فى مصر من ١٩٣٧ الى ١٩٤٨ (جزءان) .

— فؤاد كرم — النظارات والوزارات المصرى
الكتب القوميــة .

— د. فـؤاد المرسى خـاطر — العـلاقات المصرية السوفيتية — رسالة دكتوراه (غير منشورة) .

— فوزى جرجس — دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى — مطبعة الدار المصرية .

— قلينى فهمى باشا — آراء وذكريات فى السياسـة والاقتصاد والاجتماع — مطبعة المجلة الجديدة .

— محمد عودة — سبعة باشوات وصور اخرى — الكتاب الذهبى .

— محمد علوبة باشا — مبادىء فى السياسة المصرية مطبعة دار الكتب .

— محمد زكى عبد القادر — اقدام على الطريق .

— محمد عبد الله العربى — المعاهدة من الوجهـة القانونية — مطبعة سكر بمصر .

— محمد على الطـاهر — ظلام السجن — مذكرات ومفكرات — مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٩٥١) .

— محمد التابعى — من أسرار السياسة والساسة — مصر ما قبل الثورة — مطابع دار القلم — القاهرة .

— محمـد حسنين هيـكل — مذكرات فى السياسـة المصرية .

— مصطفى امين — الكتاب الممنوع — اسرار ثورة ١٩١٩ — الجزء الأول — دار المعارف .

وثائق وتقارير وأوراق قضائية

— تقرير اتهام النيابة العمومية فى قضية الجناية رقم ٨٧٦ السيدة زينب لعام ١٩٣٩ .

— تقرير لجنة التحقيق الوزارية فى الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية الأخيرة .

— التقرير السنوى عن مصر عام ١٩٣٦ مرفوع من السير مايلز لامبسون الى مستر ايدن المتحف البريطانى — لندن) .

— خطب جمال عبد الناصر فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى .

— سيد البكار (مخطوط عن تاريخ الطليعة الوفدية) .

— سعد زغلول (المذكرات الخطية) .

— عبد الرحمن فهمى (المذكرات الخطية) .

— قانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ بشأن انشاء مجلس الدفاع الأعلى .

— قانون حزب الوفد المصرى .

— ملف القضية رقم ١٠٤ كلى مصر لسنة ١٩٢٦ .

— مضابط مجلس النواب .

- مضابط مجلس الشيوخ .

- محفوظات رئاسة مجلس الوزراء .

- محاكمات الثورة ـ المضبطة الرسمية لمحاضر جلسات محكمة الثورة ـ اصدر مكتب شئون محكمة الثورة .

- مرافعة أحمد حسين قضية اغتيال محمود فهمى النقراشى باشا .

- مرافعات الرئيس أحمد حسين فى عهد حكومة الوفد ـ من كفاح مصر الفتاة .

- مرافعة النيابة العامة فى قضية الجناية رقم (١٩٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا ـ المتهم فيها أحمد حسين (قضية حريق القاهرة) .

- وثائق مكتبة رئاسة الجمهورية المصرية ـ تقارير (الحكومة ـ الجيش) .

- وثائق وزارة الخارجية البريطانية المودعة فى Public Record Office — London

دوريـــات

- الأهــــرام
- البـــلاغ
- الجهـــاد
- آخر ســـاعة
- اخبار اليـــوم
- رابطة الشباب
- السياســـة
- صـــوت الأمة
- الصرخـــة
- المصـــرى
- المصـــور
- كوكب الشرق
- مصر الفتـــاة
- الوفد المصرى



مراجــع أجنبيــة

— Albert Hourani — Arabic Thought in the Liberal Age 1798 — 1939, Oxford (1970).

— The Ciano Diaries — 1943 — Doubleday and Company — New York (1946).

— G. E. Vongrunebaum — Modern Islam — The Search for Cultural Identity — Vintage Books — New York.

— G. Kirk — The Middle East in the War — 1939 — 1945 — London (1953).

— Jean-Pierre Thieck — La Journée du 21 Février 1946, Dans l'Histoire du Mouvement National Egyptien — Université de Paris, VII.

— The Killearn Diaries, 1934 — 1946, Edited by Trefor Evans — London — (1972).

— Richard P. Mitchelle — The Society of the Muslim Brothers, Oxford (1960).

— Wavelle — Allenby in Egypt — London.

الفهـــرس

صفحة

ــ كيف ؟ ! ٣

ــ **الفصل الأول** : مصـــر ١٣

ــ **الفصل الثانى** : الوفد ٢٩

ــ **الفصل الثالث** : الزعيم ٤٧

١ ــ ضد الاحتلال البريطانى ٥٨

٢ ــ الملك يبكى من النحاس ٧٤

٣ ــ ضد الفاشست والاتجار بالدين . . ٨٧

٤ ــ ٤ فبراير ، بداية أم نهاية ؟ . . . ١٠٥

٥ ــ النحاس واليسار ١٠٨

٦ ــ نحاس .. ما بعد الحرب العالمية الثانية . ١١٥

٧ ــ النحاس وثورة يوليـــو ١٢١

ــ وثائـــق ١٢٩

ــ المراجـــع ١٥٣

مطابع الاهرام التجارية

رقم الايداع ١٨٨٩ / ١٩٧٦

الترقيم الدولى ٨ ٠٧ ٧٠٦٥ ٩٧٧ ISBN



.. وفى التاريخ كما فى غيره من العلوم يصبح الاكتفاء ((بالتعميمات)) و((الانطباعات السطحية)) خطرا داهما على الحقيقة ذاتها .

و ((النظرة العامة)) سائدة تماما فيما يتعلق بتقييم قادة العمل السياسى المصرى على مدى التاريخ الحديث كله.

ومن هنا فان دار القضايا قد شعرت بضرورة أن تقدم للقارىء العربى دراسة علمية ورؤية عصرية لحياة هؤلاء الزعماء ابتداء من أحمد عرابى وحتى جمال عبد الناصر .

وقد طلبت الدار الى الدكتور رفعت السعيد وهو أحد المتخصصين البارزين فى هذا المجال اعداد هذه السلسلة من الدراسات .

الناشر

دار القضايا

ثمن النسخة :
٥ ليرات لبنانية أو ما يعادلها

توزيع الأهرام